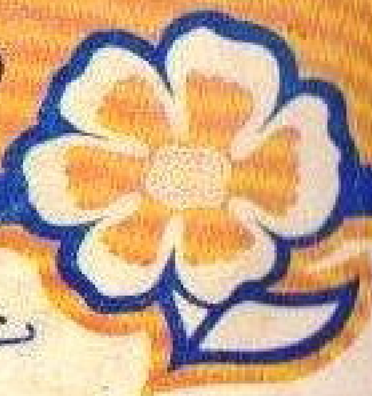


روايات عبير

نان اسكويث

الشبيه

٦١

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 61

الشبيه

وشم الحب قلب ستاسي وعاشت مع اليكسيس قصة حب قصيرة انتهت بموت الزوج الحبيب. واعتقدت ان حبها دفن معه الى الأبد. أصرت ستاسي على رفض معونة عمها الطاغية الذي رفض مساعدة ابنه وتخلى عنه، لكن ظروف ابنها الصحية تجبرها على قبول دعوة لزيارة مسقط رأس زوجها.

تصل ستاسي الى اليونان.. أرملة صبية جميلة. فتلتقي بول حيث تتداخل الصور امام عينيها... ها هوذا زوجها يظهر امامها لشدة شبهه بأخيه بول. فهل تقع اسيرة الشبه وتحب بول ام ان ليدا الرقيقة خطيبة بول تنقلب الى نمرة تدافع عن حقوقها.

هل يحب الانسان مرة ثانية ام يبقى اسير الحب الأول؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE GARDEN OF PERSEPHONE

١ ـ الرسالة وأصابع الجمر

منذ وفاة الكسيس، بدت لي تلك السنوات الثلاث كأنها شتاء طويل، كأنها أيام موغلة في العبوس والتجهم. الشمس اشرقت، لكنني لم أرها... كأنني مرهونة لكل ما يلغي الحقيقة! واليوم، بعد اربع ساعات في الطائرة التي أقلعت من مطار ليفربول الملتف بالضباب، تغمرني كل هذه الاضواء. المدرج البراق وسقوف المباني اللامعة تبرز امام عيني واضحة في سماء شديدة الزرقة.

في قاعة مطار اثينا الكبرى كانت الحقائب قربنا. نيكوس وانا، في انتظار والد الكسيس.

كان كل شيء غريبا، وجديداً: الاصوات اليونانية، والوجوه الواضحة الجلية، والعيون الداكنة والنظرات السريعة. وامام هؤلاء الناس النشيطين، غمرني شعور هامشي كأنني ساعرف بعد لحظات انني تمكنت من العبور والرسو.

شدني نيكوس بيدي فصرخت:

«ماذا تريد؟»

«اني عطشان.»

لم أرغب المجيء الى هنا، لكن، من اجل نيكوس فقط وافقت. كنت اخشى ان التقي للمرّة الاولى والد زوجي وعائلته. واكثر من ذلك، كنت ارفض التعرف الى رجل تخلى عن ابنه الذي رفض ان يترأس الشركة البحرية كرفيليس

واختار طريقاً مختلفاً. والسيد كرفيليس لم يتصل بابنه منذ ان غادر ميلايتوس، متوجهاً الى باريس، ثم الى انكلترا.

لم يحضر أي فرد من العائلة حفلة زواجنا. وبعد سنة، جاء اخوه لانيفيفه ويدعى بول، لحضور المأتم. وكنت في ذلك الوقت في المستشفى اعاني من نوبة عصبية انتابتني بعد وفاة زوجي.

استدرت في حركة مفاجئة للتخلص من هذه الذكرى، واذا بي اصطدم برجل طويل القامة، يتقدم منا. اعتذرت منه وشعرت باضطراب لكنه تمسك بي وابتسم قائلاً:

«هل انت السيدة كرفيليس؟»

«نعم»

«اسمي مايك هاردينغ لقد تأخرت عن الموعد حدثت بعض المشاكل التقنية في المطار الخاص»

افلت من قبضته وقلت:

«لا بأس، نحن وصلنا لتونا. اقدم لك ابني، نيكوس نيكوس، صافح السيد هاردينغ»

مدّ نيكوس يده بتهذيب وتأمل في اهتمام هذا الرجل العملاق ذا الشعر الناري. كنت اتوقع أن يأتي للقائنا يوناني ذو بشرة سمراء، او احد وكلاء الشركة، لا هذا الرجل الملتحي الذي يرتدي بذلة كاكية وقميصاً زرقاء نصف مفتوحة ويعتمر قبعة من القش.

تبادلنا النظرات وبدأ اللقاء قائلاً:

«لم اتوقع أن ارى شابة مثلك»

كدت أشعر بالخجل لولا ابتسامته الودية. فأجبته

«وانا كذلك. لم اكن اتوقع لقاء رجل انكليزي. اليس جميع موظفي السيد كرفيليس من اليونانيين؟»

«اني من نيوزيلندا. ولست موظفاً لدى السيد كرفيليس، إنما أنا احد رعايا فازيلي»

«أحد الرعايا؟»

«نعم. لقد اطلقنا على الجزيرة اسم مملكة فازيلي. وانني اعمل في مطارها الخاص.»

تناول الحقائب وقال:

«هيا بنا.»

شدني نيكوس مرّة اخرى بكم قميصي وراح يتوسل اليّ بنظراته. فقلت للطيار:

«لا اريد تأخيرك. لكن، ألا يمكننا أن نشرب شيئاً؟ صحيح اننا تناولنا ما نريده في الطائرة، لكن نيكوس ما زال عطشاناً. هل امامنا متسع من الوقت قبل ان تقلع الطائرة الى ميلايتوس؟»

«لسنا في عجلة. الطيار هو صديق قديم وسينتظرنا.»

تبعنا الرجل العملاق الذي يحمل الحقائب من دون أي جهد ظاهر وبعد خمس دقائق. كنا نجلس امام الطاولة وبين ايدينا ثلاث كؤوس من الليموناضة.

سأل مايك

«كم عمرك يا نيكوس؟»

«عمري اربع سنوات.»

ثم التفت اليّ وتابع:

«اليس كذلك يا امي؟»

«تقريباً اربع سنوات»

رمقني مايك بنظرة خاطفة ثم حوّل نظره عني لا شك انه يفكر مثل الكثيرين، بانني أرملة شابة. كنت في الثالثة والعشرين من عمري. تزوجت في التاسعة عشرة وترملت وأنا في العشرين وما زلت وحيدة. لكن هل في امكاني ان

احب مرة أخرى كما احببت الكسيس؟»

قال مايك:

«اذن، انت ولد كبير»

لم يكن ما قاله مايك هو الحقيقة، اذ ان نيكوس صبي صغير جداً بالنسبة الى عمره، ونحيل وسريع العطب. انه هزيل. هذا ما قالته السيدة باتس التي استأجرت غرفة في بيتها. «من الصعب عليك ان تحافظي على صحته، خلال هذا الشتاء.»

لم يكف نيكوس عن السعال، وقد اقنعني الطبيب بأن اغادر مدينة ليفربول. ان معاشي لايكفي لمعالجته في حال اصابته بمرض خطير. كان يجب ان ابحث عن مكان صحي ودافئ، في جنوب انكلترا مثلاً. وفي احد الايام من شهر اذار/مارس، عندما بدأت الريح تعصف في انتظار الربيع، وصلتني رسالة من السيد كرفيليس مكتوبة بلغة انكليزية صحيحة، وجاء فيها:

«العزيزة ستاسي من الصعب علي الكتابة اليك، لكني اشعر بانني في حاجة ماسة الى ان اتعرف اليك والى نيكوس. انت مستغربة، بعد هذا الصمت الطويل الذي دام سنوات. لكن ذلك كان سببه عناد وتصلب وقساوة رجل عجوز. اني أسف على كل شيء، وارجو ان تسامحيني، من اجل حبك لألكسيس.

لقد احببت ابني، لكننا تشاجرنا. ولو كان امامنا متسع من الوقت، لكنا تصالحنا واجتمعنا من جديد وكنا معا الآن.

الاّ ان القدر شاء ان يكون الوضع على ما هو عليه. بعد سنتين من مغادرته الجزر مات الكسيس في حادث مؤلم، واصبحت انت بجراح. فجعت بالنبأ ولم استطع تحمل رؤيته ميتا. لذلك لم احضر المأتم. لكن، لو تسنت لي رؤيتك من بعيد، فقد نصبح صديقين... لكن الهوة اتسعت بيننا. لقد رفضت مساعدتي احتراما لألكسيس. وانا لا الومك على هذا. انما العكس هو الصحيح اني احيي فيك شجاعتك وشهامتك وعزة نفسك. لكن هذا لن يوصلك الى التسامح

والغفران. اني اكتب اليك في حزن واسف. فاني رجل عجوز ولن أعيش الى الابد. وامنيتي الوحيدة هي التعرف الى حفيدي الوحيد. هل بامكاني أن اطلب منك نسيان الماضي والحضور الى ميلاينوس. انها موطنك وبيتك. ان هذه الجزيرة هي جزيرة نيكوس وسيكون وريثها. ارجوك من صميم قلبي وبحرارة ان تردي على رسالتي.

«فازيلي كرفيليس»

أعدت قراءة هذه الرسالة مرات عديدة قبل ان أتخذ القرار النهائي. كنت احملها في اي مكان اذهب اليه. وضعتها داخل حقيبة يدي. كنت اقرأها في شقتنا الصغيرة التي صمم ديكورها الكسيس، بعد العشاء، قبل النوم، في الصباح وكنت مترددة بين رغبتي في الذهاب لاكتشاف الجزيرة التي ولد وترعرع فيها الكسيس، وبين كراهيتي لرجل تخلى عن ابنه بقسوة ومرارة. لقد تأثرت كثيرا بهذه الرسالة. الاب والابن كانا ولا شك مخطئين. كان الكسيس شاباً حيوياً، دافئا جميلاً وكان حسن المظهر ويتمتع بوجه جميل وبشرة لوحتها الشمس وعينين سوداوين حالكتين. كنت افكر فيه، واردد بصوت شارد: «الكسيس، الكسيس...» فجأة ايقظني صوت من شرودي

«هل انتهيت؟ هل في امكاننا الذهاب الآن؟»

أشرت بطرف عيني وانا استعيد تدريجيا الواقع ونظرت الى كأس الفارغة وقلت:

«بكل تأكيد. عفواً»

نهض العملاق المنتحي وابتسم لنيكوس قائلاً:

«هل انت مستعد للطيران من جديد؟»

«نعم، نعم.»

نهض نيكوس في كرسيه واضاف في تردد:

«شكرا على الليموناضة المنعشة. فقد اطفأت ظمأي.»

«ارجوك.»

تناول مايك هاردينغ الحقائب والتفت اليّ وقال:

«ارجو اللحاق بي.»

«نعم.»

«هل مررت بالجمرك؟»

«نعم. كل شيء مرتب.»

تبعناه في القاعة. ثم هبطنا السلالم قبل ان نعبر ممراً حيث اوقفنا ضابط راح يتفحص الاوراق. وبعدها فتح الباب الزجاجي وخرجنا منه متوجهين الى الطائرة الصغيرة التي في انتظارنا على بعد امتار قليلة. اشار لنا مايك قائلاً

«هذه هي طائرتنا.»

«ماذا؟ هل سنصعد الى داخلها؟»

«طبعا.»

ثم انحنى نحو نيكوس وتابع:

«اذن، نيكوس، ما رأيك بهذه الطائرة. انها طائرة جدك الخاصة؟»

ثم التفت بي وتابع

«داخل الطائرة ثلاثة امكنة فقط وعند فازيلي طائرات اكبر تتسع لثمانية اشخاص. خاصة باصدقائه وأقربائه. لكن الجميع يذهبون اليوم الى بيريوس بالباخرة.»

«متى نصل الى ميلاينوس، يا سيد هاردينغ؟»

«ارجوك أن تناديني مايك. مثل الجميع. سنصل الى ميلاينوس ظهراً.»

رفع حاجبيه وقال:

«هل تشعرين بتوتر؟»

احمرت وجنتاي وسألته:

«لماذا تقول هذا الكلام؟»

نظر اليّ بامعان واجاب:

«انت لا تعرفين عمك، ولا شك انك تشعرين بعذاب حقيقي، كما تبدين مضطربة. لاتقلقي. كل شيء سيتم على ما يرام.»

عدت اتساءل لماذا جاء هذا الرجل الغريب لاستقبالنا. وقلت:

«هل انت صديق لعائلة كرفيليس؟»

ابتسم وغمز بعينيه الزرقاوين وقال:

«تقريبا. لوالدي مصالح على هذه الجزيرة. ربما كنت تتوقعين ان يأتي بول.. لاستقبالك. كان عليه الحضور. لكن ليدا اغرقت المركب وهو مصاب في عينه ويده في حالة سيئة. لا شيء خطر. لكن هذا هو السبب الذي من اجله لم يستطع المجيء الى هنا لاستقبالكما. انا وهو الوحيدان القادران على قيادة هذه الطائرة. دعيني اساعدك.»

ليس الآن وقت الشعور بالتوتر. اجلست نيكوس المضطرب في احد المقاعد ووضعت حزام الامان وجلست قربه. أحدث محرك الطائرة صوتاً قوياً وبدأت الطائرة تتحرك على المدرج. وبعد ثوان قليلة، ومن دون اي جهد يذكر، اقلعت الطائرة مثل النورس. ورأيت وراءنا المدينة المشمسة تبتعد، وامام عيني امتد البحر الازرق الذي تلمع امواجه البيضاء.

كان نيكوس مندهشا، واسع العينين. يتمتع بذكاء خارق نسبة الى سنه. وهذا بسببي. كل هذه المسؤوليات جعلت من حياتي سباقاً متواصلاً، وكنت اجرف نيكوس في هذه العجلة الكبيرة. لدي عمل ثابت ومستقر ومعاش محترم. وفي الوقت نفسه كنت احاول قدر المستطاع منح ابني الحب والاستقرار. لكن كانت تنقصه اجواء المرح والحرية والسعادة التي لم اعد اعيشها منذ وفاة الكسيس.

الوحدة تجعل الانسان خائفاً ومذعوراً. كنت وحيدة ومتروكة. عندما التقيت

الكسيس، فقد توفيت أمي التي ترملت منذ كنت طفلة. كان لدي بعض الأقارب، في كندا وعم وعمة في اسكتلندا، وهما قدما لي مسكنا عندهما. لكن هذين العجوزين كانا يحتاجان الى خدماتي فقط ولم يمنحاني العاطفة التي انا بحاجة اليها. فشكرت لهما اهتمامهما وغادرت اسكتلندا عائدة الى انكلترا.

عملت للمرة الاولى، في سن الثامنة عشرة، حين التقيت الكسيس. كان يعزف على البوزوكي في فرقة تدعى الفاريون. قدمه الى احدهم وحدث الحب من النظرة الاولى.

كان الكسيس وحيداً، وحزيناً منذ ان تشاجر مع والده. يعمل في النهار في مطعم وفي الليل يعزف في النادي مع فرقته. الموسيقى حياته. كان يحلم بكتابة الاغاني التي تدندن على شفاه الناس في العالم اجمع.

وبعد ستة اشهر، تزوجنا، وكنا متأكدين من امكانية العيش بمواردنا المتواضعة. استأجرنا شقة صغيرة عند السيدة بانس. وكنا سعيدين مثل الاطفال في القصص الخرافية.

كان الكسيس يعيش من مال والدته. وانا بقيت في العمل حتى اقترب موعد ولادة نيكوس. ووقع الكسيس على عقود جديدة وبدأ يكون لنفسه شهرة لا بأس بها، والنجاح بات قريباً. كان قد قدم بمشاريع عديدة في نيته أن يحققها في سنة واحدة.

وكان يقول باستمرار:

«سأعود الى والدي وسأريه ماحققت! وسأبرهن له أن المال والنفوذ والقدرة، ليست شيئاً، وان الاخلاق تحقق فرحاً مختلفاً وانه يجب اعطاء العالم شيئا نابعاً من اعماق الانسان بالذات، لا مما يملكه.»

ربما يبدو ذلك خيالياً لكنني كنت اؤمن به وبعبقريته.

وفي احدى ليالي تشرين الثاني/نوفمبر، كان نيكوس قد بلغ العام الاول من عمره، وكنا عائدين من النادي في سيارة صديق له، عندما حدث المحتوم

الذي لا نعرفه. الضباب كان كثيفاً والطريق تنزلق. وفي احد مفارق الطرق، اصطدمت السيارة بشاحنة. وكانت نتيجة الحادث كسراً في احد قدمي صديقنا، وصدمة عنيفة لي. سائق الشاحنة لم يصب بأي اذى. اما الكسيس فقد قتل على الفور.

آه، كم ارغب الا افكر في ذلك الشتاء الرهيب!

وكي اصرف النظر عن هذه الذكريات، القيت بنظرة خاطفة الى اصانيك الذي يقود الطائرة. فالتفت نحوي وقال:

«منظر جميل، أليس كذلك؟»

«رائع. يا لعدد الجزر الهائل والبحر اللانهائي.»

«ان البحر هو حياة اليونان. والناس لايملكون سواه. الجبال تجعل الاتصالات صعبة. وفي الشتاء يعتزل قاطنو الجزر ويقضون فصل الشتاء في النوم. لكن، في الربيع، يبدأ موسم صيد الاسماك، فيبيعونها ويلتقون ببعضهم البعض من جديد.»

اشار بيده وتابع يقول:

«حتى على الأرض الصلبة، يفضل الناس الابحار للوصول الى مكان ما غالبا ما يكون ذلك اسهل واسرع، من العبور على الطرقات المتعبة. سلاسل الجبال هذه ليست سوى امتداد لجبال البلقان مروراً بكورنثيا والبولوبونيز قبل ان تذوب في البحر وهنا، تبرز في شكل جزر.»

«وميلانوس؟»

«انها اجمل الجزر. مليئة بالاشجار الخضراء، وغنية بالنباتات المتنوعة.»

«هذا ما كان يقوله الكسيس.»

«الكسيس!»

تردد لحظة ثم تابع:

«اني اتذكره قليلا جداً. لدى وصولي الى هنا كنت ما ازال طالباً. وكان

الكسيس يصغرني سناً ربما كان عمره ١٢ سنة. ولما عدت الى هنا، منذ خمس سنوات، كان قد غادر الجزيرة ليعيش في انكلترا. كان فازيلي غاضباً عليه. لم يكن لأحد الحق في ان يلفظ اسمه.»

هزّ رأسه واضاف:

«لا الوم الكسيس لمغادرته الجزيرة ان والده يتمتع بشخصية قوية. ولهذا السبب فضل بول الاهتمام بفرع الشركة في الولايات المتحدة الاميركية، وامضى هناك وقتا لابأس به.»

سألته:

«هل يعيش بول الآن في ميلايتوس؟»

«نعم. عاد في العام الماضي، عندما افتتح فازيلي مشروعه الجديد في شارتوس. ان والدة بول تعيش في اميركا. انها اميركية الجنسية وزوجة فازيلي الاولى. ولما تم الطلاق بينهما، بقي بول مع والدته. وتزوج كرقيليس من والدة الكسيس.»

«وزوجة السيد كرقيليس الثانية، الم تمت قبل مغادرة ابنها الكسيس الى انكلترا؟»

«نعم. كانت امرأة يونانية رائعة، تصغر زوجها باعوام عديدة. انه وحيد الآن، وهو السبب الذي يجعله يضغط على بول. يريده ان يتزوج ليدا ليؤمن الخلف.»

«من تكون ليدا؟»

«انها فتاة يتيمة يرعاها كرقيليس منذ وفاة والدها الذي كان أحد شركاء فازيلي. انها ورثت لقب والدها. ويعتقد فازيلي انها الزوجة المناسبة لبول ولمصلحة العائلتين في الوقت نفسه.»

قلت في فضول:

«هل هما مخطوبان؟»

هزّ مايك رأسه وقال:

«ليس بصورة رسمية.»

«يبدو انك تعرف الكثير عن العائلة.»

«اعرف كيف اتلقى المعلومات اللازمة عما اريد.»

نظر اليّ من جديد وقال:

«لكني لا اعرف شيئا عنك، ولا حتى اسمك.»

«اسمي ستاسي.»

«ستاسي. اسم جميل. اني احب كثيرا النساء ذوات الشعر الناري.»

من زمان لم اسمع كلاما كهذا على لسان رجل. فاحمرت وجنتاي خجلا ولحسن حظي لم يكن مايك ينظر اليّ ليلاحظ مدى خجلي.

تابع يقول:

«عليك حماية بشرتك الشاحبة من حرارة الشمس اللاهبة. ان شهر ايار/مايو شهر جميل، فهو ليس حارا. لكن الحرّ يبدأ في الشهور التالية. وفي تموز/يوليو وآب/اغسطس، تصبح اثينا مدينة لاتطاق. لكن في الجزر يساهم الهواء الشمالي الخفيف الذي يهب في الربيع حتى نهاية الخريف، في التخفيف من شدة الحرارة. في الصباح، كما في المساء، النسيم العليل ينعش الجوّ.»

كنت اتكلم معه وكأننا صديقان قديمان. سألته:

«ما هي مهنتك؟ هل انت طيار؟»

«كلا. اني مهندس واعمل في المؤسسة التي تهتم بتنظيم ممتلكات فازيلي. ان الجزيرة كلها ملكه والجزيرة القريبة منها، اي جزيرة شارتوس، هي ايضا ملكه. وهاتان الجزيرتان متلاحقتان. وينوي فازيلي ان يجعل الجزيرة الثانية مركزاً للاستجمام يرتاده الاثرياء. وهو ينتمي الى طبقة الاغنياء، ويعرف تماما ما هي امنيات هذه الطبقة بالذات.»

«هل تريد ان تقول ان فازيلي ثري كبير؟»

«نعم. انه غني جدا. الم تعرفي ذلك؟»

«لا. كنت اعرف انه مرتاح ماديا كأي مالك سفن، لكنني لم اكن اعرف انه مليونير ذو ثروة ضخمة. هل صحيح انه يملك ثروة هائلة؟»

«انني لا امزح بالمال. اني احترم كثيرا هذه القبضة. وسنتأكدين بنفسك من صحة اقوالي. هل ترين هذا الجرف، في البحر، هناك؟ انها جزيرة ميلانوس.»

التفت نيكوس ووضعت يدي على كتفه وقلت له

«انظر، ياحبيبي. لقد وصلنا. ان المنظر رائع، اليس كذلك؟»

نظر الى نيكوس مستغربا وقال:

«هل هذا الثلج، يا امي؟»

اجابه مايك:

«لا، ياصغيري، ان هذا البياض على الجبال هو صخور الميكا البيضاء الشديدة اللمعان.»

راح نيكوس يتأمل باهتمام قمة الجبال التي تعكس الشمس فتبدو وكأنها منثورة بطرفضي. كما ان هناك نباتات كثيرة وخاصة بساتين الزيتون التي تنمو من أعلى القمم نزولا حتى البحر الشفاف.»

بيوت ذات سقوف رمادية وبيضاء، والجدران زرقاء وصفراء، وحمراء، كلها منثورة في الجزيرة. كنيسة صغيرة في طرف القرية ومرفأ داخل البحر ومن بعيد، مراكب الصيد واليخوت والزوارق على اختلاف انواعها...

انعطفت الطائرة ولم نعد نرى القرية وسكانها. ظهر أمامنا مدرج الهبوط الطويل الذي يضم في اطرافه الجرارات والشاحنات والجرافات وسيارات الجيب والشاحنات. هبطت الطائرة بهدوء وتوقفت بعد ثوان قليلة على الأرض المعبدة.

ساعدنا مايك على النزول واقترب منا رجل يرتدي بذلة بيضاء ناصعة. احنى رأسه وتكلم باللغة اليونانية. فرد عليه مايك ثم التفت الى قائلا:

«انه بيتروس، سائق فازيلي. سيأخذكما الى فيللا مارمارا البعيدة مسافة نصف ساعة من هنا.»

«لكن... انت، الن تأتي معنا؟»

«آه، كنت اود ذلك. لكن مجيئي ليس منتظرا. طلب مني فازيلي أن أقود الطائرة وأتي بكما الى هنا، وهذا كل ما طلب. وكما سبق وقلت، لست سوى مواطن متواضع ولايمكنني ان اتقدم امام جلالته من دون أن أكون مدعوا.»

انتبه الى تعبير وجهي المذهول فقال

«كنت امزح. ان فازيلي يحب أن يلعب دور السلطان.»

ثم وضع يدي في يده وتابع

«لا تتخذي هذه الملامح المرعبة. لا بد ان فازيلي نفسه مرتبك أيضا. سوف اراك مرة اخرى، يا ستاسي. ما من أحد يمكنه منعي من رؤيتك. انها بداية صداقة كبيرة.»

عضضت على شفتي وقلت

«اني اسفة للظهور بهذا المظهر. لكن...»

انهى الكلام مكاني قائلا

«انك تشعرين في هذا البلد وكأنك غريبة. لا. ان عمك ناعم كالحمل. وفيللا مارمارا رائعة ومكان الاحلام. سوف تحبين العيش هناك. الى اللقاء، يا نيكوس. انني سعيد بالتعرف اليك. الى اللقاء.»

قال له نيكوس

«الى اللقاء. هل تأخذني مرة اخرى في طائرتك؟»

«طبعا، سنذهب أيضا الى الصيد في باخرتي.»

افلت مايك يده من يدي وقال مبتسما.

«وانت ايضا، ياستاسي.»

«شكرا.»

«هيا اذن. الى اللقاء.»

تراجع الى الوراء ووجه بعض الكلمات لبيتروس الذي حمل الحقائب

وضعها في سيارة المرسيدس المتوقفة قربنا. صعدنا الى السيارة وجلسنا في مقاعدها المريحة المصنوعة من الجلد الازرق وبدأ المنظر يعبر أمامنا. وسرت السيارة قرب حقول خضراء مزروعة قمحا وشعيراً. انه الاسبوع الاول من شهر ايار/مايو، بداية الحر والارض لم تجف بعد.

كلام مايك لم يجعلني أطمئن تماماً اخشى لحظة الاجتماع بوالد الكسيس. لا أشعر تجاهه إلا بالمرارة، لأن الكسيس وصفه لي كأنه وحش. ربما لهذا الرجل مزايا خفية. لا شك انه كريم جدا. اراد ان يدفع نفقة شهرية لنيكوس، لكنني رفضت مساعدته. ارسل لنا بطاقتي سفر درجة اولى وقمنا برحلة في افضل ظروف ممكنة.

السيارة تمر الآن قرب غابة صنوبر التلال اللامعة تظهر الواحدة بعد الاخرى امامنا. وصلت السيارة الى قمة وشاهدت لافتة كتب عليها كلمة مارمارا باللغتين اليونانية والانكليزية. وعلى مفرق طرق، انعطفت السيارة الى اليسار وعبرت ممراً واسعاً مظللاً تحيط به الاشجار الكثيفة التي تلتقي ببعضها من طرفي الطريق في قبة خضراء. الرجال يعملون في بساتين الزيتون ويشيرون بايديهم الينا. اخيراً توقفت السيارة في ساحة مبلطة. ساعدني بيتروس على الهبوط من السيارة وانفتح باب ضخم وانحنى خادم أمامنا مبتسماً وتناول الحقائب وأشار الينا بالدخول.

في البهو المنعش، امرأة شابة ترتدي ثوبا اسود كانت في انتظارنا استقبلتنا بترحاب وقادتنا الى القاعة الكبرى. كنت اضغط بقوة على يد نيكوس الصغيرة.

فتحت المرأة باباً ذا مصراعين وادخلتنا الى القاعة. ابتلعت لعابي بصعوبة وفي خطى مترددة دخلت و نيكوس ملتصق بي.

كانت القاعة كبيرة ومنيرة والسقف عال. الارض مفروشة ببساط اخضر وطنافس خضراء، وحمراء تتدلى من النوافذ. رأيت عينين تحدقان في ويدين تشدان

على يدي.

«ستاسي، ابنتي! اهلاً وسهلاً في فيللا مارمارا. انها لحظة لاتنسى!»

انحنى السيد كرفيليس امامي وطبع قبلة على يدي.

تلعثمت وانا اقول:

«اني .. اشكرك. اني سعيدة جدا.»

ترك يدي ووضع يده على كتف نيكوس قائلا:

«نيكوس، قل مرحبا لجدك.»

مد نيكوس يده وقال بتردد وحيرة:

«مرحبا.»

انحنى السيد كرفيليس امام نيكوس وقبل جبينه وقال:

«نيكوس، اني سعيد بالتعرف اليك. ولا تعرف الى اي درجة اسعدتني زيارتك.»

انتصب، لم يكن طويل القامة كما كنت اتصوره. ثم اشار الى مقعدين كبيرين وقال:

«لنجلس. هل قمتما بسفرة مريحة؟»

«نعم. كانت السفرة رائعة.»

جلس مواجهة لنا وراح يتأملنا ويقول:

«كم تبدوان متعبين وشاحبي الوجه. بعد الغداء، ستخلدان للراحة. لدينا الوقت الكافي ليعرف كل منا الآخر، اليس كذلك؟»

«نعم.»

كنت اشعر بالضيق رغم ان هذا الرجل لم يشعرني بالخجل. انه متوسط الحجم، يرتدي بذلة من الكتان الابيض الناصع حاجباه الاسودان عريضان وكثيفان فوق عينيه السوداوين. يبدو في السبعين من عمره وفي شعره بعض الخصل البيضاء.

هذا هو وحش كوابيسي. لا شك ان هناك خطأ ما. اذ لم اكن قادرة على

ملاحظة التقارب بين الرجل الذي كتب هذه الرسالة المؤثرة وهذا العجوز المعجب بنفسه، الجالس امامنا.

اكمل السيد كرفيليس كلامه قائلا:

«لدي الكثير لأقوله لك، ولا اعرف من اين ابدأ. ستصبح عما قريب صديقين وبالتالي يمكننا التكلم عن مشاكلنا.»

توقف لحظة كأن غيمة مرت على وجهه ثم اضاف متلعثماً:

«عن... عن الكسيس.»

انحنى امامي ونظر اليّ وقال:

«هل سامحتني؟»

اجبت برعونة:

«نعم، طبعاً.»

«ثم اسامح نفسي بعد.»

خيم الصمت ثم التفت الرجل الى نيكوس وقال:

«انه صورة طبق الاصل عن الكسيس. وجهه وملامحه كلها تدل على انه من آل كرفيليس.»

مدّ يده وقال:

«تعال اليّ يا ابني.»

نظر نيكوس اليّ في قلق، ثم نهض من مقعده واقترب ببطء من السيد كرفيليس الذي سأله:

«كم عمرك؟»

انحنى الرجل العجوز ليسمع صوت نيكوس الذي تكلم بكلمات خافتة:

«اذن عمرك اربع سنوات؟»

رفع وجهه اليّ مستفسراً فقلت:

«سيصبح عمر نيكوس اربع سنوات في شهر تشرين الاول/اوكتوبر.»

وضع يده على وجه نيكوس وقال:

«اريد أن أرى هذين الخدين نضرين. انك ولد لطيف، لكنك تبدو لي نحيلاً، وهذا غريب. لأن آل كرفيليس يتمتعون اجمالا بصحة قوية.»

«سوف يستعيد نيكوس صحته هنا. انه في حاجة الى الحرارة والشمس.»

«هل نصحك الطبيب بذلك؟»

«نعم. قال لي إن مدينة ليفربول لا تلائم صحة نيكوس.»

«اذن ليست الصدفة هي التي جعلتكما تأتيان الى هنا.»

«لا... انه الحظ.»

«لا اعتقد أن هذا هو السبب الوحيد لحضوركما. لقد جئتما لتريا الجد. فازيلي أليس كذلك، يا ابني؟ تعال الى هنا سنشرب نخب وصولكما.»

دقّ الجرس القريب منه وقال:

«آمل ان تكون هذه الزيارة طويلة وسعيدة.»

دخل خادم حاملاً الكؤوس على صينية ثقيلة من الفضة. وضع كل شيء على الطاولة قرب السيد فازيلي الذي قال:

«شكراً، انجلوس. قل للآنسة كالفوس وللسيد بول ان يحضرا.»

ثم التفت اليّ ويداه الصغيرتان ترتجفان وقال:

«ماذا تحبين ان تشربي، يا ستاسي؟»

«عصير البرتقال.»

تناولت كأسي عندما دخلت من الباب الزجاجي الذي يطل على الشرفة فتاة في ريعان الشباب، يتبعها شاب طويل القامة. استدار السيد فازيلي ومدّ ذراعه وقال:

«ليدا، عزيزتي، اقدم لك ستاسي. ستاسي، هذه ليدا كالفوس، ابنة صديقي وشريكي الراحل. انها تعيش معنا في الوقت الحاضر.»

شدّت ليدا على يدي. جمالها خارق وعيناها سوداوان كبيرتان، شعرها الأسود

بشدل على كتفيها، وكانت ترتدي ثوبا ابيض شفافاً يظهر سمرة بشرتها التي لوحتها الشمس. قالت بالانكليزية:

«انني سعيدة بالتعرف اليك.»

تابع السيد فازيلي قائلاً:

«واقدم لك ايضا، يا ليدا، حفيدي نيكوس.»

مدت ليدا يدها قائلة

«كيف حالك يا، نيكوس؟»

التفت السيد فازيلي اليّ من جديد وقال:

«وهذا هو ابني بول.»

كان الرجل ما يزال وراء ليدا. انه طويل القامة، اطول من الكسيس. على عينه اليسرى قطعة قماش حريرية، واحدى ذراعيه مربوطة بمنديل من الحرير. تذكرت كلمات مايك. لكن ليس هذا المظهر هو الذي جعل قلبي يخفق في سرعة ان وجه بول وانفه وخديه وفمه وشفتيه وملامحه الواضحة، كلها تقول إن هذا الرجل هو الكسيس... كأن السنوات الماضية كلها تبخرت في لحظة. كأن الكسيس آخر، اكبر سنا واشد قوة، يقف امامي.

سأل بول في صوت عميق وداق:

«كيف حالك يا ستاسي؟»

رنّ صوته في اعماقي. لا، المتكلم ليس الكسيس. اجبته وانا امدّ يداً مرتجفة:

«حالتي جيدة جدا، شكراً.»

جاءت ليدا وجلست في قربي، ثم قالت لنيكوس في لطف:

«انك جميل مثل والدك.»

شعرت بتفاهتي، ان بول يشبه الكسيس لأنه شقيقه، وليس هنالك اي مبرر كي اشعر بالتوتر والاضطراب. قلت:

«لكنه لايتمتع بصحة جيدة. الطقس والبحر والتغذية ستفيده جدا.»

«بكل تأكيد. هل سبق لك وزرت اليونان؟»

«كلا لم ازر سوى فرنسا ولا اعرف الا بلدي انكلترا.»

تأملت بول في امعان. انه اطول من زوجي واكبر سنا واكثر حيوية. كما انه يبدو اكثر استبدادا وتسلطا. لا شك انه في الثلاثين من عمره، كما ان ليدا تبدو في سنه. اقترب نيكوس مني كأنه يبحث عن ملجأ وسط كل هؤلاء الغرباء. عنه رفعت نظري ليشتبك مع نظرات السيد فازيلي الذي ابتسم وقال:

«ربما تريدين تغيير ملابسك والاستحمام قبل الغداء. اقرع الجرس يا بول، من فضلك.»

جاءت الخادمة فتحدث معها السيد فازيلي باليونانية ثم قال لي:

«ستقودك ديدو الى شقتك. ارجو ان توافينا الى غرفة الطعام في الساعة الواحدة والربع.»

تعلق نيكوس بذراعي وتبعنا ديدو الى سلم من الرخام ينقسم الى قسمين، كل قسم يأخذ اتجاها مختلفا. ثم عبرنا ممرا طويلا لنصل الى صف طويل من الغرف المفروشة باثاث اخضر وذهبي. فتحت غرفة باب نيكوس الذي يليه باب يطل على حمام صغير ومشرق.

وبينما كان نيكوس يغسل يديه، فتحت احدى الحقائب واخرجت منها فرشاة ومرآة وضعتها على منضدة الزينة. ثم رحت الاحظ الغرف، بينما كان نيكوس ينتظرني في وسط الغرفة. كنت اود ان اركع امامه واخذه بين ذراعي. لكنني تمالكت نفسي. ربما ارعبته. كنت اعاني من خوف تافه من ان يخطفه احد مني. توجهت نحوه ووضعت قبلة على شعره الناعم.

وقلت:

«اليس كل هذا جميلاً؟»

توجه نيكوس الى السرير العريض المغلف بغطاء حريري اخضر وقال:

«اريد ان انام هنا معك. وليس هناك»

«حسنا. تبقى معي هنا قليلاً ثم تذهب الى غرفتك مع شارلي»

وشارلي هو قرد من النسيج المخملي، لعبته المفضلة.

توجه نيكوس الى النافذة المطلة على شرفة صغيرة وقال:

«الحديقة كبيرة وجميلة. هل في امكاننا ان نذهب اليها؟»

«ليس الآن. علينا ان نتناول طعام الغذاء ثم الاخلاد الى الراحة. ان جدك في انتظارنا.»

خرجنا الى الممر الطويل. ترددت. اية جهة اسلك. الى اليمين أم الى اليسار؟ كنت ضائعة كأنني في متاهة. قررت أخيراً الهبوط الى البهو فجأة توقفت دافعة نيكوس في عنف مفاجيء. كان بول واقفاً في وسط الغرفة، منحنيا على ذراعه المصابة يشعل سيكارة. سمع نيكوس يرتطم بسياج السلم فرفع نظره نحونا وللحظة كنا كأننا ثلاثة تماثيل نيكوس مستغرب، انا مسحورة و بول هادىء، لايتحرك. انحنى امامنا في تهذيب بينما كنا نتقدم منه ثم قال:

«طلب مني والدي ان ارافقكما الى غرفة الطعام.»

مشينا في صمت وبعدما قطعنا عدداً من الجسور وصلنا الى غرفة الانتظار. فتح بول الباب الذي يطل على قاعة الطعام الكبرى ودخل امامنا ثم دعانا الى الدخول. استقبلنا السيد فازيلي مبتسماً وقال:

«هل وجدت كل شيء كما كنت ترغبين؟ اجلس هنا يا ستاني. وانت يا ليدا، اجلسي هنا في قرب بول. اما نيكوس فسيجلس في قربي.»

الطاولة المستديرة مغطاة بشرشف وردي وضعت عليه اقداح فينيقية من اللون نفسه. وفي الوسط باقة من الورد الابيض المعطر.

نيكوس وانا أكلنا قليلاً. اذ ان هذا الطعام الغريب لم يغرنا. نيكوس لم يحب ورق العريش المحشو بالأرز واللحم الناعم مع صالصة الحامض. احب الدجاج ولم يستطب لحم البقر المطبوخ بالجوز. انتاب القلق السيد فازيلي

فقال

«يالشهيته الضئيلة. اني افهم الآن لماذا هو نحيل الى هذه الدرجة.»

لكن نيكوس اكل بشهية قطعة من قالب الحلوى المصنوع من العسل واللوز والقرفة.

وبعد القهوة التركية، اعتذرت واخذت نيكوس الى القيلولة. وهكذا فعل الجميع. وعندما كنت اصعد السلالم لاحظت ان ليدا تعرج وسألتها ما اذا اصيبت بجراح خطرة. فأجابتني وهي ترمقني بنظرة فيها خيبة امل:

«لاشيء. لقد اصبت في ظهري خلال الحادث. لكن بول هو الذي تألم اكثر مني.»

ثم وضعت يدها على ذراع الرجل وقالت:

«ماذا يمكنني ان افعل لك يا بول؟»

«لن اطلبْ منك سوى شيء واحد وهو الاّ تقودي بهذه السرعة. فقد لاتكون محظوظين في المرة المقبلة.»

ابتسم وظهرت اسنانه البيضاء. وللمرة الاولى رأيت بهجة تنعكس وبشاشة وجهه في النظرة التي رمق فيها ليدا.

كان السيد كرفيليس يتبعني برفقة نيكوس.

«بعد القيلولة، سنلتقي في الحديقة ونتناول الشاي. نحن ايضا لنا عادات انكليزية.»

استيقظنا من النوم مع اقتراب الساعة من الرابعة واخذنا حماما طويلاً ثم ارتدينا ملابس نظيفة وتأهبنا للذهاب الى الحديقة. ارتدى نيكوس بنطلون شورت وقميصاً زرقاء مقلمة. كان يبدو شديد النحافة اخذته بين ذراعي برغم قراري ألا اداعبه. جذبته نحوي. سيبقى في فيللا مرمارا حتى يستعيد نيكوس صحته بشكل نهائي.

هزني بلطف وقال:

«لماذا تضحكين، يا امي؟»

«كنت اتصورك مستديراً كالطابة: عليك ان تأكل كل ما يقدم اليك»

«ان الطعام هنا غريب جداً»

«كلا. من هذا الطعام اكل والدك عندما كان يعيش هنا. واصبح شاباً جميلا وكبيراً»

«هل هنا منزل والدي؟ هل كان يسكن هنا؟»

«نعم. لقد سبق وقلت لك ذلك قبل مجيئنا. والآن، هل انت مستعد للذهاب الى الحديقة؟ كان والدك يقول إنها حديقة رائعة»

لو تسنى لألكسيس الوقت ليحدثني عن طفولته، لكان في امكاني الآن اخبار نيكوس عنها وبالتالي جعل هذا المكان اكثر حيوية. لكن للأسف كانت حياتنا معا قصيرة جداً وابني لم يعرف والده تقريبا.

في الطابق الاسفل، بدت الفيلا هادئة، نائمة. أي اتجاه سأتخذ لنصل الى الحديقة؟ التقيت بالخادمة ديدو التي لاتفهم الانكليزية. وبعد ترديدي كلمة حديقة مرّات عديدة، توصلت بالنهاية الى الابتسام وتناولت يد نيكوس وتبعتها الى الخارج، الى شرفة معبدة، مبنية على عواميد ضخمة.

في الجهة الاخرى، طريق تمتد بين الشجيرات. وفي الطرف الآخر اشجار السرو تشكل شاشة. كأن الفيلا تنتهي عندها. لكن خلف اشجار السرو، باحة اخرى محاطة من الجهتين بجدار قديم ومن الجهة الثالثة باشجار السرو ومن الجهة الرابعة مفتوحة على البحر.

بقيت مسمرة مكاني، مخدرة بتأثير روعة المكان. كان الجو لطيفاً. هنا الازهار على مختلف انواعها. الوردية والبيضاء والحمراء والبنفسجية وفي الوسط، سبيل ماء ونوافير المياه تسقي الارض بقطرات الماء، التي تلمع تحت الشمس. مقعدان من الحديد المطلي باللون الابيض وتمثال فتاة جميلة. شعرها ينسدل بجعاعيد عريضة على كتفيها المبنية من الحجر، وترشف كبير يلفها في حركة جوية. كانت

تلتفت صوب البحر.

وضع نيكوس يده في الماء. اقتربت منه، لكن شيئا ما اوقفني. التمثال يقف على قاعدة رخامية. لم يكن هذا المنظر الذي جعلني ارتعش خوفا. بساط من الزهور يهبط بشكل شلال بمختلف الالوان والانواع ويركض على الحجارة. وهنا وهناك، نباتات خضراء، وكثير من اشجار السرو والتربين والصنوبر والجوز.

«انظر يا نيكوس، اليس هذا رائعا»

سمعت خطوات تقترب. جذبت الولد نحوي. لم نكن وحيدين. ظهر بول فقلت مستغربة

«آه»

انحنى وقال

«انى آسف. جئت لأدعوكما الى تناول الشاي»

«كنا... كنا نتنزه»

«هل المنظر يثيرك؟»

«كثيرا. حديقة الاحلام. السبيل، التمثال، الازهار...»

«انت تدعو هذه الحديقة حديقة برسفوني»

كان بول يحدق بي. فقلت

«برسفوني تلك التي خطفها ملك الجحيم وسجنها في مملكته؟»

«نعم. هل تتذكرين ذلك جيداً. سمح زوس لبرسفوني الذهاب شرط الا تمضي هناك اكثر من ثلث السنة. وفي كل مرة تعود يبدأ فصل الربيع. ان هذه الحديقة حديقة الربيع فقط وفي الصيف، كل الازهار تذبل. نحن الآن في احد اوقاتها للتمتع بها»

نظرت الى السبيل، والى الزهور والى الاشجار الضخمة الخضراء. وشعرت بالسلام الداخلي. مثل برسفوني، كأني آتية من العتمة لأرى هذا العالم الملي، بالالوان والانوار

التفت نظراتي بول وتذكرت للحال الكسيس. سألته:

«هل هذه الحديقة من تصميم والدك؟»

«كلا. انها من تصميم والدة الكسيس. ماتت قبل ان تنهي التنفيذ. انظري السلالم تصل الى هنا.»

انحنيت وسألته:

«الا يمكننا النزول الى البحر من هنا؟»

«بلى، هذا ممكن. هناك درج صغير محفور في الصخرة، لكنه خطر. لكننا عندما نذهب للسباحة في البحر، نأخذ المصعد.»

«المصعد؟»

نسيت ان السيد كرفيليس رجل مليونير. قاطع بول تفكيري بقوله:

«هيّا، نأخذ الشاي.»

توجهت نحو نيكوس الجالس على السلالم، واضعاً ذقنه بين يديه وعيناه تحدقان بالافق.

«تعال.»

ركض وهو يقفز. فقال بول:

«انه يشبه الكسيس كثيراً. اننا جميعاً نحب الكسيس وخاصة والدي. انه ولده المفضل.»

شعرت بالغضب يخنقني، فقلت:

«أسفة ان اقول إن والدك الذي يحب ابنه، لم تبدر منه اية بادرة تدل على انه قادر على تفهم الوضع. فقد جعله حزيناً وتعيساً لأنه لم يرسل احداً من العائلة لحضور حفلة زواجنا.»

توقفت ارتجف من تأثير الذاكرة. كان بول واقفاً امامي. لكن النور القوي منعني من ملاحظة ملامحه. فقال بصوت جاف:

«ان والدي يحاول الآن ان يعوض عن الماضي.»

«اني اصدقك. جئت الى هنا من اجل صحة نيكوس.»

«ولأجلك انت ايضا كي يساعدك والدي ماديا. اليس هذا ما ترغبينه؟»

شعرت بنظراته تنظر الى ملابسي البسيطة والمتواضعة. قلت

«والدك عرض عليّ مساعدته بعد موت الكسيس. لكنني رفضتها.»

ران الصمت طويلا. أخيرا قال بول:

«لم اكن اعرف ذلك. الم تقبلي اي مال منه؟»

«كلا.»

«لكن، كيف... ليس لديك اهل؟»

«ليس لدي اهل. عشت مع نيكوس. كان مريضاً وعالجته. لقد كنت اعمل بشكل مستمر لتربيته. كان علينا مغادرة مدينة ليفربول عندما وصلت رسالة والدك. والآن نحن هنا، في بلاد الشمس.»

«انك عانيت الكثير. وتفعلين كل ما في وسعك من اجل نيكوس... لا. يا ستاسي، لاتكوني ظالمة. انسي اخطاء الماضي. كنا نحب الكسيس كثيراً.»

«اعذرني.»

«انت امرأة شجاعة. لاتكوني على فخر وكبرياء، واقبلي مساعدتنا. من اجل نيكوس.»

وقف في قربي وشعرت بلمسة اصابعه على جسمي كأنها جمرة. التفت اليه، فابعد يده عني وقال:

«ان والدي في انتظارنا.»

وسلكنا طريق الفيلا.

٢ - زهرة الجليد

مرت الايام التالية بهدوء، من دون حوادث. وشيئاً فشيئاً بدأنا نألف عالم فيللا مارمارا. كنا نمضي ساعات طويلة في الهواء الطلق، تحت الشمس، نتناه ونتحدث مع السيد كرفيليس وليدا. كان بول في أثينا، في مركز الشركة. غيابه عن الجزيرة كان يريحني.

أحياناً، في الصباح، كنت أخذ المصعد الذي يقودني الى الشاطىء الشقاف، وكنت اصطحب معي نيكوس لنلعب ونلهو على الرمل الناعم. ليدا لم تكن تسبح في مثل هذا الوقت من السنة. الطقس ما زال بارداً بالنسبة الى الذين يقطنون اليونان. ونادراً ما كان السيد كرفيليس يسبح. كنت اتردد في أن ابقى مطولاً داخل الماء حتى لا أبدو قليلة التهذيب. بعد الخروج من الماء كنت اتمدد على بساط البحر. وكان موضوعاً تحت تصرفنا زورق ودراجة مائية. الايام تمر هكذا، ونيكوس يزداد ثقة بنفسه ويبتعد اكثر فاكثر داخل مياه البحر. معي بعد قليل سوف يتقن السباحة. أحياناً كنا نصطاد القريدس الموجود داخل الصخور، ثم نعود لنستلقي على بساط البحر للتمتع بحرارة الشمس ولذة الاسترخاء.

قرب الظهر تشتد حرارة الشمس، فندخل الى الفيللا لأن الحرارة لا تطاق برغم المظلات الواقية. وما أن ندخل الى الفيللا حتى نشعر بالجو المنعش وكان يستقبلنا السيد كرفيليس، وفي كل مرة يرتدي بدلة مختلفة ويقدم لنا المشروبات المنعشة

المثلجة.

وليدا تنضم الينا دائماً مرتدية الفساتين الفخمة الشديدة الاناقة. كانت تشعرني بفقر حالي. ومرة استدعاني السيد كرفيليس الى مكتبه وهو كناية عن غرفة كل جدرانها مليئة بالكتب، من اسفلها حتى السقف. وارض الغرفة مبلطة بالرخام وفي وسطها مكتب ضخم من الجلد الاخضر وضع عليه ثلاث ألات للهاتف . اثنان منها متصلتان مباشرة بمطار السيد كرفيليس الخاص وبيخته الذي يدعى: اوسيانيس. والهاتف الثالث يستعمل لاجراء المكالمات الخارجية الخاصة بالفيللا. الخطوط الهاتفية لا وجود لها داخل الجزيرة نفسها.

كان السيد كرفيليس جالساً في مقعده الى يمين الكرة الارضية. ابتسم لي لكن تعبير وجهه كان قاسياً.

«ستاسي، ياعزيزتي. انك تتمتعين الآن بصحة جيدة.»

وبرغم لطفه كان يرعبني. فتابع الحديث قائلاً:

«عظيم. كنت اتوقع ان يكون الاسبوع الاول هنا هادئاً لكن حان الوقت. على ما اعتقد، لأن تتسلى قليلاً. سيأتي الى الفيللا بعض الاصدقاء، في نهاية الاسبوع. وآمل ان تعجبك مرافقتهم. انهم شباب، وأصدقاء لليدا ولي.»

صمت قليلاً وشعرت بغصة في قلبي. المدعوون، اصدقاء ليدا، فتيات مثلها، أنيقات.. وكأنه قرأ ما يجول في افكاري فتابع كلامه يقول

«هيلين كانت في المدرسة في سويسرا، مع ليدا. اما الآن، فهي تسكن في باريس مع زوجها، اتيان موليه، وهو جراح مشهور يبلغ الثلاثين من عمره. سيصلان يوم الجمعة الى ميلانوس عن طريق البحر على متن الباخرة التي يملكها شقيق هيلين الاعزب، الذي هو ايضا طبيب.. والان نصل الى الموضوع الذي يؤلمني.»

انحنى الى الامام وظلّ يحدق في عيني وقال:

«انت امرأة رائعة، يا ستاسي، وذوقك رائع ايضا. لكن الملابس التي ترتدين

ليست انيقة، وذلك عائد الى مشاكلك المادية، على ما اظن. هل تفهمين ما اقصد؟ هنا، عليك ان تكوني جديرة بان تكوني كنتي، وارملة الكسيس. وبما انني اعرف عزة نفسك، فقد فضلت ان اطلب من بول ان يجلب معه بعض الملابس من دور الازياء الرفيعة. سيأتي بها غداً وانا متأكد من انها ستعجبك».

احمرت وجنتاي وقلت متلعثمة:

«انت.. انت انسان كريم. لكن اخاف الا...»

لم يكن في وسعي اكمال الكلام. فقد بقيت كلمات الشكر عالقة في حنجرتي، وشعرت انني سندريلا الحقيرة في تلك الاسطورة الخرافية.

«هذا يفرحني كثيراً، يا بنتي. ارجوك، لا داعي لأن تشكريني».

«لكن، كيف يمكن بول ان...؟»

«لن يختار بول شخصياً الملابس. سيأخذ رأي مصمم أزياء. لبدا. وفي المستقبل، لدى زيارتك لأثينا يمكنك شراء ما يعجبك. سافتح لك حساباً خاصاً في البنك.»

«انت رجل نبيل وسخي. شكراً يا سيد كرفيليس».

«يمكنك ان تتحدثي معي في الفة اكثر. انت ابنة لي. لا، لا. لن اطلب منك ان تناديني: يا ابي. انا باسيلي، فازيلي، مثل الجميع هنا».

«سأحاول. لكن يجب ان اذهب الى نيكوس الذي هو الآن في انتظاري، لنذهب معاً الى الشاطئ. ان المكان هنا جميل والبحر رائع. وهذه الاضواء، ما اروعها».

«نعم، هذا الوضوح، هو نور اليونان. القدماء اعتقدوا ان النور شيء رباني، كالارض والبحر. لاتقلقي على نيكوس. لقد اصطحبته ديدو الى الشاطئ».

«ديدو؟ لكن...»

نهض السيد كرفيليس من وراء مكتبه وراح يدور حولها ويقول:

«في مثل اوضاعك، من الطبيعي ان تكرسي حياتك لأبنك. لكن لاترتكبي خطأ رعايته، يا بنتي. يوماً ما سيصبح رجلا وعليه أن يتعلم الاستقلال من الآن

تصاعداً. سيمضي ساعات النهار مع ديدو او مع خادمة اخرى. وفي مرة اخرى، نتناقش معاً عن مستقبله. واذا احتجنا الى مربية خاصة له، فارجو الا ترددي في اللجوء اليها».

بقيت برهة مذهولة، ثم قلت في لهجة هادئة:

«كنت افضل أن تسألني رأيي في ما يتعلق بنيكوس و... لم اكن اعرف انني كنت احتضنه».

ابتسم السيد كرفيليس قليلا وقال:

«لا. طبعاً. لكن هذه احدى سيئات عاطفة الامومة. سبق لي واختبرت ذلك. ان والدة الكسيس تصرفت مثلك مع ابنها. لذلك اصبح انساناً ضعيفاً لاينصاع لأوامر احد».

حدقت فيه بمرارة وقلت:

«كان الكسيس مستقلاً تماماً ليغادر ميلاينوس ويعيش كما يروق له، برغم ما تسميه تعلقه الكبير بوالدته».

اجابني في صوت جاف:

«هذا يختلف، لأن والدته توفيت باكراً».

كنا ننظر الى بعضنا بنظرات غريبة كأننا عدوان. ارفض الخضوع لعينيه الحديديتين. كنت غاضبة على مثل هذا الانسان الذي يسمح لنفسه بانتقاد افعالي.

«المعذرة. كنت اريد فقط مساعدتكما، انت ونيكوس. ان اعظم امنية لدي هي ان اراه بقربي. لاتغضبي فانت لن تكوني بجانبه باستمرار. يا ابنتي العزيزة سوف تتزوجين مرة ثانية. لذلك خففي من تأثيرك على نيكوس. سوف يفهم انه لن يظل الانسان الاول في قلبك».

قلت في صوت خافت:

«سيظل دائماً الاول. ولا احد في امكانه ان يحل مكان الكسيس».

هزّ رأسه وقال:

«تعتقدين ذلك الآن. انت مثل زهرة غمرها الجليد. فبدت براعمها ميتة. لكن، الربيع لا بدّ ان يزهر من جديد.»

دق الباب فقال كرفيليس:

«ادخل.»

ظهر على عتبة الباب شاب يضع نظارتين ويحمل حزمة اوراق في يده. فقال مستغربا:

«المعذرة، ياسيدي، ربما جئت باكراً.»

«لا، يا بنايدس. لقد انهيت حديثي مع السيدة كرفيليس. ستاسي، انت لاتعرفين سكرتيري السيد بنايدس. اقدم لك أرملة الكسيس.»

انحنى الرجل القصير وقبل يدي ثم رفع رأسه وقال:

«تشرفنا.»

فتح السيد كرفيليس الباب وقال:

«سنلتقي على الغداء.»

«نعم.»

خرجت غاضبة برغم لطفه واطرائه. ليس له اي حق في اتخاذ قرارات تتعلق بنيكوس. وكذلك هو مخطىء في اعتباره اني احتضنته. كل ما اريد هو ان اراه يشعر بالاستقرار والامان الى حين يصبح في سن المسؤولية.»

القيت نظرة الى ساعة يدي. انها الساعة الحادية عشرة والربع. في مثل هذا الوقت يتناول نيكوس عصير الفاكهة برفقة ديدو.

ليس لدي اي اعتراض على الفتاة. الم اترك نيكوس مراراً مع السيدة باتس أو في دور الحضانة في انكلترا؟

خرجت من الفيللا وذهبت امشي في الساحة. كان بيتروس يغسل السيارات. ابتسم وهمس في تهذيب:

«صباح الخير.»

نزلت بهدوء في اتجاه رائحة الصنوبر. ومررت قرب اشجار الزيتون. والرمان وما ان وصلت قرب مسكن الحارس. حتى سمعت صوت محرك سيارة. اقتربت مني سيارة جيب. رجعت الى الوراء لأدعها تمر. لكني دهشت حين رأيت مايك هاردينغ ولحيته النارية.

«ستاسي، انت هنا!»

«مايك!»

اطفأ المحرك وهبط من السيارة وقال:

«ماذا تفعلين هنا؟ واين نيكوس؟»

«انه على الشاطىء، وانا خرجت للتنزه.»

«في هذا الجو الحار؟ المفروض ان تكوني في البحر، في الماء. سأعيدك الى الفيللا.»

كان يحدق بي بعينيه الزرقاوين ثم قال:

«انت شاحبة اللون. هل حدث شيء ما؟»

«لا شيء يذكر، شكراً. سأعود معك.»

وضع ذراعه حول كتفي وساعدني في الصعود الى الجيب. ثم جلس مكانه ونظر اليّ وقال وهو يشير الى رزمة اوراق ضخمة موضوعة في المقعد الخلفي:

«لم أكن أتوقع رؤيتك. جئت لأقوم ببعض الاعمال الموكلة اليّ.»

ثم ابتسم وقال:

«اني ادعوك لتناول العشاء معي!»

كنت سعيدة مع مايك، متحررة من أية مراقبة.

«اني اقبل دعوتك، شكراً.»

«حسناً. هل يناسبك مساء غد، أو تفضلين بعد غد؟»

«لا. عظيم. ان عمي ينتظر بعض المدعوين بعد غد ويفضل أن أكون بقربه.»

نظر الى مايك وسألني:

«ماذا يجري؟ الا يفرحك هذا؟»

«آه، بلى لكن كنت على حق... بالنسبة الى فازيلي. انه يحب التسلط على الجميع.»

«هل اصطدمت معه؟ هل تحبين ان تتكلمي عن هذا الامر معي؟»

«كلا ليس هنا المكان المناسب.»

«حسنا. سآتي غداً في السابعة مساء وآخذك لتتناول طعام العشاء في تيفيتوس.»

«هل هي العاصمة؟»

«نعم. والمرفأ الاساسي. انها تبعد ثمانية كيلومترات عن المطار. سأستقل سيارة متينة. هيا بنا الآن، إن فازيلي يحب الدقة في العمل.»

وصلنا الى الساحة فنزلت من السيارة. وظل مايك متمسكا بيدي برهة طويلة.

«لا يمكنك ان تعرفي كم أنا مسرور لقبولك دعوتي الى اللقاء في الغد. قبلي نيكوس عني ولا ترهقي نفسك.»

«اعدك بذلك.»

«الى الغد، الساعة السابعة.»

توجهت لتوي الى غرفتي. وتمددت على السرير ووضعت يدي تحت رأسي وفكرت بمايك. انه انسان لطيف ولا شك أنه واقع في حبي. وفكرت بالرجال الذين التقيتهم بعد موت الكسيس. لكن هل يمكنني أن أحب مرة ثانية؟ وتساءلت ما اذا كان تصرفي هذا ناتجا عن رفضي لقبول موت الكسيس. يبدو لي وكأنه ذهب في رحلة طويلة وانه ربما سيعود يوما.

لا هذا مستحيل حتى ولو كنت لا ازال انتظره في اعماق اللاوعي.

دخلت ديدو مع نيكوس فانتفضت.

«اعذريني، ياسيدة كرفيليس. لم اكن اعرف انك عدت.»

«لا بأس ادخلي مع نيكوس. شكرا ديدو.»

وبعد ان غادرت ديدو الغرفة، اقترب نيكوس مني واحاطني بذراعيه وقال:

«امي، اين كنت؟ لماذا لم تأتي معي الى الشاطىء؟ سأخبرك قصة الدلفين التي اخبرتني اياها ديدو هل تعرفينها؟»

ضممته بين ذراعي وقلت:

«اضطررت الى البقاء مع جدك. هل لحوت؟»

«آه، نعم. لديها اربع شقيقات وخمسة اشقاء.»

«اذهب واغسل يديك، ستخبرني القصة بعد قليل.»

وضع يده على صدري وقال:

«لا تتركيني، يا امي.»

«لا. سنمضي النهار معا، لكنني من وقت الى آخر سأتركك مع ديدو.»

«لماذا؟»

«ان جدك في حاجة اليّ.»

«اني افهم. عليك ان تكسبي بعض المال ليمكننا العيش. وما هو عملك الآن؟»

«اني اعمل لدى جدك. وفي المقابل نمضي عطلة جيدة. لن ابقى هنا الى الابد. ياحبيبي.»

«انه مكان جميل هنا. اني احب شاطىء البحر.»

«نعم. وسنحاول ان نبقى اطول وقت ممكن. هل هذا ما تريده يا ابني؟»

«نعم. الى الابد.»

«لا اظن.»

ورحت اسرح شعره الناعم.

٣ ـ سندريللا ومهامها

قرية تيفيتوس قائمة على سفح تلة. شاهدتها من الطائرة، بمرفأها الحيوي وكنيستها الصغيرة البيضاء الواقعة على رأس السد. الطرقات تبدأ من البحر صعوداً الى القمم والسفوح، والبيوت مبنية على هذه الارض المتدرجة الارتفاع

اختار مايك مقهى قريباً من المرفأ، بسيطاً ويطل على مناظر ساحرة. داخل المقهى طاولات مزينة بالالوان الزاهية وتتدلى من سقفها جدائل الثوم والبصل.

قال مايك وهو يجلس امام طاولة محجوزة على شرفة صغيرة تطل على الشارع:

«هذه هي الناحية الاصلية والبدائية للجزيرة. ستتذوق الاطعمة المقلية والحارة التي هي كناية عن رخوية ذات عشر اذرع تفرز سائلا أسود كالحبر. لا تحكمي مسبقاً على الامور. إن الطعام لذيذ جداً وستخبرين ذلك بنفسك. او ربما تفضلين سمك الانشوفة؟»

ابتسمت وقلت:

«سأدعك تختار الطعام بنفسك.»

ورحت اتأمل الناس الذين يتنزهون على شاطىء البحر

«يا لهذا الجمع الغفير، من اين هم آتون، والى أين ذاهبون؟»

«انه السيرياني. وهذا ما يحصل كل مساء، وخاصة السبت والاحد. الجميع

يخرجون من منازلهم ويلتقي الشباب من الجنسين. انه اجمل وقت في النهار، لأن الحرارة تخف.»

رجل قصير، بعينين ثاقبتين ولحية سوداء ضخمة، وقف خلفي قال وهو ينحني باحترام:

«مساء الخير. ماذا تريدان أن تأكلا؟»

طلب مايك وهو ينظر الى لائحة الطعام:

«لاريدا أي هير السمك المقدد المنقوع بزيت الزيتون، وسودوكاكيا أي أقراص لحم متبلة بالبهار ومطبوخة بالبندورة.»

ثم قال لي:

«لدي مفاجأة لك. ان عرابتي ترغب في التعرف اليك. ووعدتها بأن اصطحبك الى عندها.»

«عرابتك؟ هل تسكن هنا؟»

«نعم. لقد سبق وحدثتك عن والدي. جاء الى هنا، خلال الحرب، مع الجيش النيوزيلاندي. ولما اضطر الجيش الى الانسحاب امام الالمان، هرب جزء كبير من الرجال نحو جزيرة سيكاثوس القريبة من هنا. ثم ذهب بعض الجنود الى تركيا والبعض الآخر الى مصر. ساعدت عائلة ماريا بالموس والدي على الهرب نحو جزيرة كاسترو وبعد انتهاء الحرب، عاد الى ميلايتوس وسكن في بيت ماريا وزوجها اسمها اليوم السيدة فانتيريس. ولما ولدت كانت عرابتي.»

«السيدة فانتيريس؟ لقدسمعت بهذا الاسم من قبل. اليست ممثلة؟»

«كانت مغنية اوبرا مشهورة. لكنها الآن متقاعدة في فيللا اثينا التي تقع في منتصف الطريق بين العاصمة وفيللا مارمارا. ان عمتي ماريا تتمتع بطبع نادر وغريب. سوف تعجبين بها.»

«هل تسكن عندها؟»

«كلا. ليس لأنها غير سخية. انما لأنني احب أن احافظ على حريتي، لوحدي.

أعمل لمدة ساعات عديدة وعندما اشعر بالتعب. افضل ان اكون وحيداً. اني اتقاسم شقة مع صديق لي.»

«منذ متى وانت هنا في الجزيرة؟»

«منذ ١١ شهراً. وسأبقى أيضاً لمدة سنة أو ربما اكثر. ان مشاريع فازيلي مازالت في بدايتها. ولم نبدأ بعد بالعمل في شارتوس.»

التفت نحو المرفأ وقال:

«كل شيء يبدو زاهياً وملوناً. لكن الناس يمرون بأوقات عصيبة والحياة تبدو صعبة لهم. الوظائف قليلة والشباب يهاجرون. يريد فازيلي انشاء مشاريع جديدة لتوظيف العاطلين عن العمل ويعتقد ان السياحة هي الحل الصحيح.»

«شرط الاّ تؤدي مشاريعه الجديدة الى تشويه المناظر الجميلة.»

«أه، لاتخافي، ان فازيلي سيأخذ في الاعتبار كل هذا. لكن لايجوز ان يبقى البلد متخلفاً، بحجة المحافظة على الاثار.»

قلت وانا اضع الشوكة في الصحن.

«نعم، افهم الآن. ان الطعام وفير، وهذه الصالصة لذيذة الطعم.»

«عظيم. آمل ان تروقك نزهة قصيرة. علينا التحرك. ارادت عمتي ماريا أن تتناول العشاء في منزلها. لكن قلت لها انك الليلة ستكونين لي وحدي. فوعدتها ان نأتي لتناول القهوة. هل هذا يناسبك؟»

«تماماً.»

وضع يده في يدي وقال.

«اعتقد اننا بدأنا نعرف بعضنا البعض.»

أنوار الليل تنعكس على شعره ولحيته النارية. فأصبح يشبه رجال الفايكنز.

«انا سعيدة الآن. لكن يجب ألاّ اعود متأخرة الى فيللا مارمارا.»

«هل كان فازيلي متضايقاً لأنك خرجت معي؟»

بقيت لحظة صامتة. وتذكرت استقبال فازيلي البارد عندما طرحت عليه

هذه الفكرة. فأجابني ببرود:

«أنت حرة في الذهاب والاياب. لكن حاولي أن تعودي باكراً.»

شعرت حينذاك وكأنني خادمة عنيدة لاتطيع الاوامر واجبته قائلة:

«شكرا اذا كنت لا ترى مانعا لذهابي. فاجاب لامانع لدي. ان مايك شاب مناسب وانا سعيد لأن تخرجي معه. لكن، كما سبق وقلت لك. فقد توقعت لك التسلية...»

قطع مايك هذا الصمت قائلا:

«اني افهم بوضوح الآن ليس فازيلي انسانا متحمسا. يريد أن يحتفظ بك داخل اطار اصدقاء ال كرفيليس.»

«انني ضيفة عنده أما بالنسبة اليك. ألا يمكن أن يؤدي ذلك الى...؟»

«من أجل عمل؟ لا لن يغير ذلك شيئا. انه في حاجة ماسة الى. خصوصا في هذه الفترة.»

ترك يدي ونهض قائلا:

«هيا بنا الآن.»

كانت المصابيح الكهربائية الممدودة على طول الشاطئ، تعكس اضواءها على مياه المرفأ.

«البيوت ترتفع حتى القمة. انظر الى هذه الشوارع المتعرجة. هناك في الاعالي.»

«في العصور القديمة كانت القرى مبنية في اعالي التلال وذلك من اجل مقاومة الغزاة. وفي حال الهجوم كانوا يملأون المرافئ بالرمال. ثم في القرن التاسع عشر، أعيد السكان من جديد الى الساحل البحري. لذا كل المدن بنيت هكذا. في أسلوب نيكلوري بالنسبة الى الاسلوب الكلاسيكي.»

وعندما ابتعدنا عن القرية، كانت الطريق تتصاعد حتى قمة التلة. وعلى علو معين اوقف مايك السيارة وقال:

«نحن الآن على جبل زيغوس. وراءنا الى اليسار مدرج المطار الخاص. وامامنا

الطريق التي تودي الى فيلا مارمارا. وفي منتصف الطريق ستنعطف كي نصل الى منزل عمتي ماريا، الواقع شرقي الجزيرة.»

كان هواء المساء منعشاً. وكنت انتشقه في لذة وارتياح.

«يا له من أريج لذيذ.»

«المكان مزروع بالنباتات المعطرة: الزعتر والمردقوش والسماق. يجب العودة هنا عندما تكون الشمس في الوسط. حينئذ يكون عبير العطور اقوى.»

«هذه الجزيرة رائعة حقا.»

«صحيح؟ انني سعيد لأنك جئت الى هنا. وكذلك سعيد لأسباب أخرى أيضاً...»

تناول يدي الموضوعة على ركبتي وتمسك بها لبرهة طويلة وقال:

«كم من الوقت مضى على وفاة الكسيس؟»

تنهدت وقلت:

«ثلاث سنوات.»

احنى رأسه وقال:

«وهل احببته كثيرا؟»

«نعم.»

«كنتما ما تزالان شابين عندما حدث ما حدث. كم مضى على زواجكما؟»

«أقل من سنتين. كنت في الواحدة والعشرين عندما توفي.»

«ستاسي.. سوف تتزوجين يوما ما. أليس لديك صديق أو خطيب؟»

ادرت رأسي فالتقت نظراتنا

«مايك، أنت أول رجل أرضى بأن اخرج معه منذ وفاة الكسيس.»

ظل صامتا لحظة. كأنه ذعر

«لايمكنني تصديق ذلك. انت امرأة رائعة الجمال.»

«من وقت الى اخر كنت احضر سهرات بعض الاصدقاء، لكنني رفضت جميع الدعوات. لم يكن في امكاني نسيان الكسيس.»

ادرت رأسي ورحت أحدق في الافق والجبال السوداء وجمود السماء.

«كنت اعرف انني غير قادرة على الوقوع في الحب مرة اخرى وكذلك لم اكن اريد ذلك. لم أرغب في تدنيس ذكرى الكسيس. كان لدي نيكوس ومهنتي.»

امسكني مايك بذقني وقال:

«انت لاتزالين في الثالثة والعشرين. وقد احببت الكسيس وكنت سعيدة معه لكن ليس في وسعك البقاء هكذا. يجب ان تستمري في الحياة وتتعرفي الى رجل آخر وتحبينه.»

وضع يده على فمي وقال:

«في الحقيقة، اعتقد أنني واقع في غرامك.»

«لا، يا مايك، أرجوك. لست مستعدة لمثل هذه الامور.»

«بعد ثلاث سنوات؟ ثلاث سنوات من جفاف العواطف؟ وماذا لو عانقتك؟...»

كنت جامدة لكنني ابعدت وجهه عني وقلت

«لا، يا مايك، ارجوك.»

ابتعد عني وقال:

«اعذريني يا ستاسي. لا اعرف ما الذي طرأ علي. إني اناني. حان الوقت لأن نذهب الى العمة ماريا.»

وسرنا في السيارة صامتين. كان مايك يلقي نظرات سريعة إلي، وانا كنت مكاني جامدة شادة على يدي لأمنعهما من الارتجاف.

«لقد اسأت التصرف. ارجوك ان تسامحيني. قولي ان ذلك لن يؤثر على صداقتنا.»

«ليست غلطتك، يا مايك. انما غلطتي انا. لانني.. لا اعرف.. اخاف ان اكون مختلفة...»

«يافتاتي المسكينة.. سوف تتغلبين على كل ذلك، عما قريب.»

انعطفت السيارة ودخلت بين سياجين من حديد.

«وصلنا.»

فيللا اثينا لاتشبه أبداً فيللا مارمارا. فالثانية منعشة وكلاسيكية وشكلية في اناقتها. اما الاولى، فتعج بالزخرفات والزينة والتزويق. الاثاث ضخم وثقيل وهو خليط من الطراز الادواردي وطراز لويس الخامس عشر. الألوان تتموج. ووسط هذا المكان الجميل، تتصدر السيدة فانتيريس. انها جميلة، جامدة كالتمثال. شعرها الاسود مرفوع الى الوراء في كعكة مجدلة وعيناها تلمعان كالماس الذي يتدلى من جانبي خديها الاحمرين. كانت ترتدي الحرير الليلكي الذي يتطاير حولها مثل غيمة كبيرة.

قالت في صوت رنان وعميق:

«كم أنا سعيدة لاستقبالك هنا. انتظرتك ليس فقط لأن مايكل حدثني عنك، لكن لأنك عضوة في عائلة كرفيليس. في كل حال، كنا سنلتقي عند فازيلي. لكن أفضل ان نلتقي هنا ببساطة وبلا رسميات.»

وضعت يدها على ذراعي وتابعت:

«تعالي الى النور، يا ابنتي، كي يتسنى لي تأملك.»

اخذتني الى قاعة الاستقبال المضاءة بالقناديل ذات الشعلة المتأرجحة.

«يا للونك الرائع. كنت دائماً أحلم بأن املك مثل هذا الشعر، وهذه البشرة بلون أزرار الورد. احذري الشمس وضعي قبعة. حسنا. لنجلس ونتحدث.»

جلست في مقعد مريح مغلف بالقماش الحريري المقلم وجلست في مقعد مواجه لها. ظهر الخادم حاملاً صينية عليها غلاية القهوة التركية وبعض الفناجين الصغيرة وحلوى مصنوعة من العسل والجوز.

اشعلت السيدة فانتيريس سيكارة تركية وانحنت الى الامام وقالت:

«هل في امكاني أن ادعوك ستاسي؟ شكرا. عندك ابن على ما اظن. حدثيني عنه. ما اسمه؟»

اخبرتها عن نيكوس ووصفته لها ورحنا نتكلم مثل صديقتين متعارفتين من زمان.

«لقد عرفت الكسيس تماماً. كانت الموسيقى شيء مشترك بيننا عندما كان صغيراً هو يعزف على الناي من أجلي، وانا ارافقه على القيثارة. كان ولداً رائعاً يشبه والدته كثيراً. اما بول، فيشبه والده.»

تكلمنا عن أشياء كثيرة ومختلفة وعن الحرب.

«ان الحرب هي التي جعلتني أتعرف الى والد مايك، وأصبح عرابة ابنه.»

ثم حان وقت الذهاب، فقال مايك:

«يجب أن نذهب الآن، ياعمتي ماريا. ستاسي وعدت بالاّ تعود متأخرة الى فيللا مارمارا.»

نهضت السيدة فانتيريس في رشاقة غريبة وقالت:

«نعم، ان ستاسي ضيفة السيد فازيلي ويجب الاّ تتأخر. هل بول هنا؟»

أجاب مايك:

«كلا. إنه في اثينا. أوصلته في الاسبوع الفائت الى العاصمة اليونانية وسوف يعود في الباخرة.»

«كيف أصبحت عينه؟»

«إنه يرى جيدا الآن.»

ودعت السيدة فانتيريس التي وضعت قبلة على خدي وقالت:

«في المرّة المقبلة، ستأتين الى العشاء. لكني سأراك من دون شك عند فازيلي.»

وفي طريق العودة سلكنا الطرقات المعتمة وفي سرعة وصلنا الى فيللا مارمارا.

«لا يمكنني أن أقول لك الى أي درجة أعجبت بهذه السهرة، يا ستاسي.»

«اني اشكرك على هذه السهرة. أحببت عرابتك جداً.»

اخذ يدي وقال:

«وهل سامحتني لتصرفي الخاطيء؟ هل تقبلين دعوتي مرّة أخرى؟»

«نعم.»

«حسنا. يجب انتظار ذهاب المدعوين عند فازيلي قبل أن تحدد موعدا آخر لكني سأعد الأيام.»

حدق بي طويلاً ثم اضاف:

«الى اللقاء، يا ستاسي.»

شد على اصابعي ثم اقلتها ليفتح لي الباب.

«الى اللقاء، يا مايك، وشكراً.»

دخلت الى البهو. لا أحد. ولا حتى الخادم. باب مكتب فازيلي مفتوح والغرفة مظلمة. دخلت الى قاعة الاستقبال الفارغة، وترددت. كم تبدو لي هذه الفيللا غريبة.

صعدت بهدوء الى غرفتي. كان باب غرفة نيكوس مفتوحاً. تقدمت على رؤوس أصابعي، خوفا من ايقاظه. كان نائماً على بطنه، ويداه تحت رأسه، وشعره الناعم مرفوع كالاجنحة. تحرك قليلاً ثم وضع رأسه على المخدة.

اغلقت الباب وأفلتت شعري وخلعت ثوبي. وكنت افتح باب الخزانة عندما سمعت طرقاً على الباب. وضعت مئزري بسرعة كأنه فازيلي هو القادم.. لكن بول كان أمام الباب بقامته الطويلة ومن دون رباط على عينيه وحول ذراعه.

«اني آسف لازعاجك في مثل هذا الوقت المتأخر. كنت في الحديقة اشعل سيكارتي الاخيرة واذا بي ألمح الضوء داخل غرفتك.»

«لا بأس. لكن... نيكوس نائم ولا أريد ان... لقد وصلت الآن لتوي. بحثت عن والدك لكني لم آر احدا.»

«والدي يلعب الشطرنج مع صديق قديم له وهو طبيب متقاعد. طلب مني ان اعتذر لك لأنه لن يعود قبل منتصف الليل. وكذلك اريد ان اقول لك انني احضرت الملابس وسيكون والدي سعيداً اذا راك ترتدين واحداً منها في الغد. وقت الغداء.»

«الملابس؟»

نظرت اليه مستغربة وتابعت أقول:

«لقد طلبت من ديدو أن تعلقها في خزانتك. واعتقد أن كل شيء مكانه.»

«نعم. شكراً.»

«عليك أن تجربيها، لأنها اذا لم تكن تناسبك، فتكون الغلطة غلطتي انا.»

كنا نتكلم في الممر بصوت خافت كأننا متآمران. فقلت:

«ادخل لبرهة قصيرة، لكن اياك أن تحدث اية ضجة.»

دخل وانتظر في صمت بينما ذهبت الى الخزانة وفتحت احد مصراعيها الاقمشة غير العادية لفتت انتباهي. فساتين من الحرير والقطن والكتان. للسهرة ولكل المناسبات. القمصان والبذلات والمآزر ومعطف من الفرو.

فقلت في مرارة:

«انكم تعاملونني مثل سندريللا.»

«لا تقولي هذا. النساء يعجبن بالملابس الجميلة. وبهذه المبادرة يأمل والدي أن تكوني سعيدة.»

«لا اعتقد ذلك. يريد والدك أن اظهر بمظهر جيد أمام اصدقائه. لكني اقبل هذه المبادرة وكذلك مبادرتك.»

رمقني بنظرة استغراب رافعا حاجبيه. وجدته يشبه الكسيس بشدة. وعيناه بدأتا تزعجانني. حدثني في لطف وفي صوت اشد عمقاً:

«ستاسي. كوني متسامحة. على الاقل مع والدي.»

ابتلعت ريقي بسرعة:

«ساحاول. اعذرني اذا اخطأت. لكنك قمت بجهد من أجلي.»

«هذا لا شيء. كان يكفي أن اصفك: طويلة، نحيفة، ذات عينين خضراوين وشعر ناري.»

توقف فجأة وراح يحدق في بغرابة. كنت أرتدي مئزرا باليا من الحرير الازرق

المطرز بالخيوط الذهبية. لقد أهداني اياه الكسيس في عيد ميلادي. والآن اصبح قديماً وبالياً. وبرغم هذا ما زال المئزر صالحاً وجميلاً. وشعري الذي يكون عادة مرفوعاً، انسدل على كتفي. رفعه بول بيده ثم تركه ينسدل من جديد. وقال بلطف ونعومة:

«لم اكن اعرف أنك تملكين شعراً بهذا الجمال. انه كالشعلة. وانت مختلفة تماماً، واقفة هنا. ان وصفي لك كان مخطئاً. قلت انك شاحبة وباردة ومتقلصة ولما التقيت بك للمرّة الاولى كان رأسك ملفوفاً بالضمادات.»

وضعت يدي على فمي وقلت:

«اذن انت من جاء الى المستشفى؟»

«نعم، بعد الدفن مباشرة، جئت لأزورك في المستشفى وحدثتك. لكنك لم تكوني تتعرفين الى أحد.»

فجأة اتضحت لي نقطة وقلت:

«اني اتذكر صوتك، عندما حدثتني هنا، للمرّة الاولى. وكنت متأكدة أنني سمعت هذا الصوت من قبل.»

«من الصعب تصديق ما حصل. كنت غائبة عن الوعي أياماً عديدة. هذا ما قالته لي الممرضات.»

«لكن صوتك بدا لي أليفاً.»

«ربما لأن صوتي يشبه صوت الكسيس؟»

«كلا. لكنك تشبهه كثيراً.»

كنا نتبادل النظرات كأننا نحاول التعرف الى بعضنا. وفجأة شعرت بارتباك وقلت:

«من الافضل أن نفترق الآن. سنوقظ نيكوس.»

«نعم، بالطبع.»

توجه نحو الباب وقال:

«تصبحين على خير، يا ستاسي.»

للمرّة الاولى أراه يبتسم. وبدا وجهه منيرا. ثم اضاف يقول:

«استفيدي من هدايا والدي وارتديها في فرح.»

اجبته في ابتسامة صريحة:

«سأفعل ما في وسعي. شكرا.»

اغلقت الباب بسرعة وراءه وبقيت برهة طويلة مسندة ظهري إلى الجدار. ان بول يثيرني. هل لأنه يشبه الكسيس؟ هل يجب أن أعيش مع احلامي ومع الذكريات؟

لجمت افكاري وهرعت اخلع ملابسي. لم القِ نظرة على الملابس الجديدة كأني اريد ان اطرد من مخيلتي رؤية بول وهو يختارها لي.

اطفأت النور واضأت القنديل القريب من السرير وقعدت ورحت اتأمل مئزري الحريري الممدد على المقعد. ثم اطفأت القنديل ايضاً. وفتحت الباب الزجاجي وخرجت الى الشرفة واستندت بذراعي الى الدرابزين ورحت اصغي الى هدوء الليل وحركة الأمواج التي تلتطم بالشاطىء، والصخور والاصداف. السماء من دون قمر وتبدو شديدة الوضوح فوق البحر المتوهج.

الجمود والسكون والسلام كلها ساعدتني على تهدئة اعصابي. عدت الى السرير غير قادرة على النوم. فكرت بمايك ومحاولته معانقتي. اني احترمه كثيراً وأكن له مودة كبيرة. فكرت بالسيدة فانيريس وبفيللتها الفاخرة. وفكرت بنيكوس وبالمدعوين الذين سيأتون غداً.

لكن، لم اكن أريد التفكير ببول...

أخيراً نمت نوماً عميقاً.

ايقظني نيكوس باكرا وهو يصعد الى سريري ويقول:

«امي، في البحر باخرة كبيرة. وصلت خلال الليل. انها ترسو في المكان الذي نسبح فيه. في داخلها عدد كبير من الناس، وعليها أعلام. انظري.»

تثاءبت لكنني نهضت من السرير وخرجت الى الشرفة ورأيت يختا كبيراً رائعاً ابيض، يرسو في المياه الشفافة. في داخله الرجال في بذلاتهم يذهبون ويجيئون في حركة دائمة.

قلت له:

«إنها باخرة اصدقاء جدك. سيتناولون طعام الغداء معنا. ستتصرف جيداً ولا تنسى أن تحييهم.»

«هل في امكاني أن أصعد الى هذه الباخرة؟»

«ربما. لكن، في الوقت الحاضر، اذهب واغتسل وارتد ملابسك. وبعدئذ ننزل لتناول الفطور.»

نادراً ما نتناول فطور الصباح برفقة فازيلي وليدا. كان نيكوس شديد التوتر غير قادر على ان يبقى في غرفته. يريد ان يرى ويعرف ويلعب في الحديقة ويتكلم مع بيتروس ويذهب الى المطبخ بحثاً عن ديدو، وانجلوس وستراتوس... الجميع أصبحوا أصدقاءه. ولم تعد اللغة حاجزاً لايمكن عبوره واحيانا كان مسروراً في ترديد الكلمات اليونانية.

ولدهشتي، كان فازيلي في انتظارنا.

«صباح الخير، ياعزيزتي. صباح الخير، يا نيكوس.»

لكنه قطب عن حاجبيه عندما رآني ارتدي بنطلوناً ابيض وقميصاً قطنيا. فلم اشعر بالشجاعة الكافية للبحث عن شيء ارتديه من محتويات الخزانة.

«صباح الخير ان نيكوس اليوم لا يهدأ لحظة. بعد فطور الصباح يريد الذهاب الى الباخرة.»

«سيذهب الى الباخرة في وقت لاحق. ستهتم به ديدو. أريد ان اراك مرتدية ملابس اكثر اناقة لاستقبال المدعوين الذين سيصلون في الحادية عشرة والنصف. آمل ان تكون الملابس الذي احضرها بول على قياسك.»

«انها. انها رائعة. اشكرك يا سيد كرفيليس.»

ره شفتيه وقال:

«فازيلي. نادني فازيلي. حسناً. اني سعيد لأن أفرحك. هل قدم بول لك اعتذاري عن مساء امس؟»

«نعم. لقد رأيته مساء امس، عند عودتي.»

«لا شك انك امضيت سهرة جميلة برفقة مايك.»

«نعم، شكراً. لقد قدمني مايك الى عرابته.»

«اه، يا لها من فكرة جميلة. ماريا امرأة رائعة وذكية. سترينها مساء غد، لأنها ستنضم الى حفلتنا. لقد ذهب بيتروس الآن ليدعوها.»

كان نيكوس متعلقا بذراعي:

«والآن اعذرنا لأننا سنذهب لتناول فطور الصباح.»

«لاتنسي يا ستاسي. الساعة الحادية عشرة والنصف.»

«ساكون مستعدة.»

جلبت لنا ديدو القهوة والسندويشات وبدأ حرّ النهار. لكن اشجار الحديقة تساعد على انعاش الجو. قال نيكوس:

«هيا بنا، يا امي، الى الشاطئ.»

«لكن، لايمكنني، ياحبيبي. ألم تسمع ما قاله جدك. سنأخذك ديدو الآن.»

تصلب وجهه وقال في عناد:

«لا. سأظل معك.»

«اذا نزلت الى الشاطئ، فلا يمكنني البقاء هناك معك. حسناً. سآتي. لكن ديدو ستبقى معك.»

«نعم. لكن تأتين أنت معنا. الآن.»

اطلعت ديدو على قراري وطلبت منها أن تبقى مع نيكوس الى أن يحين موعد وصول الضيوف.

كان الصباح رائعا. والبحر هادئا والسماء زرقاء والاضاءة كاملة. والجزر البعيدة

تبدو قريبة جداً. وفي المنظار المكبر يمكن رؤية الجبال والبيوت والاشجار.

ارى نيكوس في الماء يشير باصبعه الى اليخت ويتحدث مع نفسه. انه الآن في صحة جيدة، وقوي ولوحت الشمس بشرته.

وصل ستراتوس بدلاً من ديدو التي كانت عاجزة عن المجيء. فعهدت اليه بنيكوس وصعدت بسرعة آملة عدم اللقاء بغازيلي لمحت انجلوس وديدو منهمكين في تحضير مائدة الطعام. سمعت أصواتاً وصوت ليدا العذب، في مكان ما ورائي.

ومن دون توقف، صعدت الى السلم متجهة الى غرفتي لكن بول اعترض سبيلي وقال.

«الى اين تركضين، بهذه السرعة؟»

سقطت في الفخ.

«آسفة، عليّ ان ابدل ملابسي. والدك في انتظاري في الساعة الحادية عشرة والنصف.»

«لكن أمامك أكثر من ساعة.»

«اعرف. لكن...»

لم أرغب في الشرح له مفصلاً وأقول اني لم اجرب بعد الفساتين واريد أن آخذ وقتي في اختيار الفستان المناسب.

«ايّ فستان سترتدين. اقترح عليك ارتداء الفستان المذهب. لقد اخترته بنفسي ويناسب لون بشرتك.»

كان ينظر اليّ بالحاح. نظرت اليه برهة أحدق في عينيه اللتين تشبهان عيني الكسيس.. وبشرته الناعمة وذقنه القاسي. لكن ملامحه أشد قساوة من ملامح الكسيس.

«لماذا تنظرين اليّ هكذا؟»

«آه! انت... انك تشبهه كثيرا.»

«هذا مديح. هل احببته كثيرا.»

ازحت نظري وقلت:

«نعم.»

امسك ذقني وأجبرني على ادارة وجهي نحوه من جديد. ثم حدق في عيني وقال

«كوني سعيدة. لقد أتيت الى ميلانيوس لتبدأي حياة جديدة. ستزول الظلال تدريجيا.»

بقينا بلا حركة، برهة طويلة.

«والآن، يجب ان اذهب والا تأخرت عن الموعد.»

هرعت الى غرفتي وما ان وصلت حتى قررت الا افكر بهذه اللحظة التي مرت مع بول.

وعندما فتحت الخزانة، تذكرت كلماته. انصحك بارتداء الفستان الذهبي. اين الفستان الذهبي؟ فتشت بين الفساتين واخرجت فستانا حريريا في لون الشمس. انه بسيط وناعم. ارتديته وكان على قياسي ويليق بي. حولني الى امرأة انيقة مختلفة عن المرأة العادية التي كنت. رفعت شعري ببعض الدبابيس ووضعت الزينة على وجهي والحمرة وانتعلت حذاء يلائم الفستان. طرقت ديدو الباب فدخل نيكوس وساعدته ديدو في ارتداء بذلته البيضاء، وسرحت له شعره

وعندما أخذت نيكوس بيدي، هزت ديدو رأسها وقالت.

«كلا، يا سيدة كرفيليس. ان اوامر السيد كرفيليس تقول بأن نيكوس لن ينزل الا بعد وصول المدعوين وبعد تقديم الشراب.»

«هل هذه حقا اوامر السيد كرفيليس؟»

«نعم، سيدتي.»

حاولت اخفاء حزني وقلت:

«ربما هكذا افضل. كن مهذباً يا نيكوس بعد قليل سيرسل جدك وراءك.»

ومرة اخرى شعرت بسلطة فازيلي على انه يصدر الاوامر وعلى الجميع الطاعة. حاولت جهدي كي ابدو لطيفة، ومدحني فازيلي على ذوقي الرفيع. وبعد فترة وجيزة، وصلت السيارات أمام ساحة المنزل وبدأت المراسم. كنت واقفة قرب فازيلي لاستقبال الضيوف هيلين موليه، سمراء، يرافقها زوجها الهادىء والطويل القامة. راوول اربلاي رجل قصير القامة وسمين. فمه الكبير وانفه الافطس وعيناه السوداوان اللامعتان. كلها تشبهه بالقرود، لكن ينبعث منه شيء دافىء وجذاب. السيد والسيدة ليبارد يشكلان زوجين متناسبين، وابنهما جان قدم لنا خطيبته الشقراء.

ليدا و بول كانا حاضرين ويبتسمان. وليدا تقبل اصدقاءها وتحدثهم باللغة الفرنسية. ثم توجه الجميع الى قاعة الاستقبال وبدأوا يتكلمون اللغة الانكليزية. دخل انجلو يتبعه ستراتوس، حاملين صينيتين من الفضة وعليهما الزجاجات والكؤوس. وفي تلك الاثناء دخل نيكوس.

ركض نحوي وفي الوقت نفسه اقترب فازيلي وقال:

«سأقدم نيكوس الى المدعوين. تعال معي، يا ابني.»

تردد نيكوس، ثم اعطى يده الى جده بعدما رمقته بنظرة مطمئنة.

كان خجولاً لا يجرؤ على النظر الى الناس الجدد. لكنه تحلى بشجاعته وراح يسلم عليهم ويرد على اسئلتهم. كنت فخورة به. لاشك ان فازيلي كان فخوراً به ايضاً وسمعته يقول:

«اقدم لكم حفيدي نيكوس، ابن الكسيس.»

لكن، بسرعة فائقة بدأ نيكوس يقضم بعض الحلوى المصنوعة من الجوز والعسل. فناديته بلطف:

«تعال الى هنا، يا نيكوس. بعد قليل سنجلس الى المائدة.»

لكنه افلت ووقع أرضاً رافعاً قدميه في الهواء.

وفي هدوء قلت له:

«لا تتصرف كالاطفال. انهض.»

لكن فازيلي نادى ديمو لتأخذه الى غرفته بالرغم منه.

«لا اريد ان اذهب. اريد البقاء معكن.»

«لا، ياحبيبي ليس اليوم.»

«تعالي معي.»

كان من المفروض ان اخرج معه. فتوجهت الى الباب. فقال لي:

«والآن ستبقين معي.»

واذا بفازيلي يقول:

«ارجو من المدعوين المعذرة لهذا المزاج المتقلب الذي يتحلى به حفيدي. انه ما زال صغيراً. واني آسف لأن والدته اهملت تربيته.»

ان نيكوس لايزال طفلاً، لكن فازيلي ينتظر منه الكثير.

ساعدت نيكوس على تخفيف دموعه وشجعته قدر المستطاع وسمح لي بالعودة الى المدعوين شرط الا ابقى معهم طويلاً. ولما عدت الى قاعة الاستقبال، تساءلت كيف في امكاني ان اتحلى بالشجاعة الكافية لأرضاء فازيلي والأهتمام بالمدعوين واسعاد نيكوس في وقت واحد.

٤ ـ حديقة النعاس

كان الاسبوع رائعاً وفي اليوم التالي دعي سكان فيللا مارمارا الى الغداء على متن يخت راوول اربلاي كانت فرحة نيكوس كبيرة وكنت امل فقط ان يتصرف جيداً أمام فازيلي.

ولحسن حظي ساعدني بول في ان يأخذه في جولة داخل السفينة، بينما كان الشراب يقدم في قاعة الاستقبال. وافق نيكوس على القيام بهذه الجولة في فرح كبير وخاصة مع العم بول. فراحا يكتشفان حجرة قائد السفينة والغرف وموضع المرجل ومكان طاقم السفينة. وفي الوقت المحدد، عاد نيكوس سعيداً وجلس في احد المقاعد الجلدية وراح يحتسي الليموناضة ويتأمل الجميع في عينين كبيرتين لماعتين.

كنت أرتدي فستاناً ابيض مخرماً بالخيوط البنفسجية وبرغم الاحتياطات التي اتخذتها، كانت بشرتي قد لوحتها الشمس قليلا وانتشر بعض النمش على انفي وخدي. لكن هذا لم يشوه وجهي، بل بالعكس. كان يليق بي. ان فازيلي على حق، الثياب تغير شكل الانسان تماماً.

اقتربت ليدا مني وقالت في لغة انكليزية لا بأس بها:

«أصر على أن أمدح ثوبك هذا. ان الخياط بولاري عرف كيف يختار أزياءك. انت تبدين رائعة جداً.»

«شكراً.»

تأثرت من هذا المديح، لكني انزعجت من نظرة الاكتفاء التي تتحلى بها ليدا. شعرت وكأني اشبه تمثالاً لعرض الازياء في الواجهات.

«فازيلي أصاب في وصفك. الثوب الذهبي الذي ارتديته بالامس كان مناسباً للون شعرك وبشرتك.»

«اعتقد أن بول هو الذي قدم للخياط بعض التفاصيل عن قوامي.»

تقلصت ليدا وقالت في استغراب:

«بول؟ لكن فازيلي هو الذي استشارني في ما يخص الخياط. كان يأمل ان يقدم لك هدية ومفاجأة صغيرة. كيف يستطيع بول أن يقوم بهذا العمل بالذات؟»

شعرت بحرج كبير. إن بادرة فازيلي تذلني. فقلت:

«ربما للأستفادة من وجود بول في أثينا وفي امكان احضار الفساتين معه لدى عودته.»

وافقت ليدا على جوابي وشعرت بالاكتفاء.

وفي المساء نفسه، أقام فازيلي حفلة استقبال دعيت اليها السيدة فانتيريس التي وصلت متألقة في فستانها المصنوع من الحرير الابيض والاسود، وحلقتان من الحجارة الكريمة السوداء تتدليان من اذنيها، وتاج صغير مرصع باللؤلؤ والماس في شعرها الاسود. وقد وضعت عطراً فرنسياً يتبعها في كل حركاتها.

لدى وصولها قالت مبتهجة:

«فازيلي، عزيزي، يا أعز الاصدقاء!»

عانقها بحرارة ثم اخذ يديها وقبلها في رقة وقال:

«ماريا! دائما رائعة الجمال، ولا حتى ظل تجعيدة. سبق وتعرفت الى كنتي. ستاسي، على ما اظن. اليس كذلك؟ ألا تعتقدين انها تشبه حورية الغابات.

هذا المساء؟ هذا بول وهذه ليدا. والآن، سأقدمك الى المدعوين. انت تعرفين هيلين، صديقة ليدا الباريسية. واقدم لك اتيان موليه، زوجها. وهذا راوول اربلاي، أخوها....»

كان العشاء طويلاً وشكلياً، لكن الحديث كان منوعاً.

مرّة اخرى شكرت فازيلي على سخائه. ارتديت لهذه الحفلة فستاناً اخضر بلون الزمرد. لم يسبق لي أن ارتديت ثوباً بمثل هذا الجمال وهذا الثمن. الفستان بحد ذاته بسيط لكن قصته رائعة. كنت اشعر وكأنني في حلم، امام هذه الطاولة الكبيرة وهذه الكؤوس الكريستال والصحون الفضية والشمعدانات والمزهريات الانيقة. قبل شهر فقط، كنت في ليفربول، أمام البيض المسلوق والخبز والجبنة وانا لا اصدق ما ارى.

وفي غصة في القلب، فكرت بكل ما ترك الكسيس من جاه ليعمل خادماً في مطعم. أي شجاعة وأي تواضع. كان يبدو سعيداً لأنه فرّ من هذه الحياة التي كانت مفروضة عليه. كان يقول مردداً: انني حرّ لكن هل كان يقصد بهذا، سلطة والده، او اعباء المسؤوليات؟ كان يتحلى بمزاج بوهيمي عكس بول الذي يقوم بواجبه من دون تأثير والده، وهذا عائد الى طبعه الاميركي، لأنه تربى وترعرع في جوّ كامل من الحرية.

بعد بضعة ايام، اقامت السيدة فانتيريس حفلة عشاء في منزلها. فقاد فازيلي سيارته المرسيدس بنفسه واصطحب معه السيد والسيدة لينارد. بيروس استقل سيارة الجاكوار واصطحب معه اتيان وهيلين وسيليست وجان. وانا وجدت نفسي في سيارة ليدا التي كان يقودها بول، وجلست في المقعد الخلفي قرب راوول.

ولدهشتي، رأيت في هذا المساء، مايك الذي استقبلنا مع السيدة فانتيريس التي كانت ترتدي فستاناً من الدانتيل الذهبي. ومايك كان يرتدي سترة بيضاء، وبنطلوناً اسود وشعره ولحيته تلمعان تحت الانوار المنوعة.

قال مايك وهو يمسك بيدي:

«سناسي. انتظرت هذه اللحظة بفارغ صبر. انت رائعة حقاً.»

ثم خفض صوته امام المدعوين وتابع يقول:

«ساعدت عمتي ماريا كثيراً. والآن سامضي وقتاً قصيراً معك.»

الى المائدة كنت جالسة الى يمين مايك وسيليست وجان الى يساره. كانا يتحدثان معاً ولم ينتبها الى اهتمام مايك الزائد بي. لكن مرات عديدة التقى نظري بنظرات بول الثاقبة.

تناولنا القهوة على الشرفة، فوق البحر. وفي الغرفة بعض الموسيقيين يعزفون الموسيقى اليونانية على آلات البوزوكي والقيثارة. وكانت الالحان تضيف سحراً الى هذه السهرة الربيعية. والقمر يلمع في سماء مظلمة.

وبعد قليل بدأت الموسيقى تعزف لحناً فرحاً، فأخذت السيدة فانتيريس تصفق وتقول:

«والآن، ايها الشباب، ارقصوا وافرحوا ونحن العجزة، سنبقى مع قهوتنا وسكائرنا.»

رقصت مع مايك، ثم مع اتيان وجان، ومع مايك من جديد. وليدا رقصت قليلاً بسبب الآلام في ظهرها، مع راوول ومع بول الذي بقي بعد الرقصة جالساً قربها.

كل شيء، كان رائعاً، في هذه القاعة الكبيرة. ولأول مرة منذ سنوات، اشعر بأنني شابة، وحرّة.

ثم بدأ الموسيقيون الثلاثة بعزف رقصة زوربا. رقصنا في الصف، الواحد قرب الآخر متمسكين باكتاف بعضنا. رفضت ليدا الانضمام الينا. اما بول فاضطر الى الرقص بواسطة سيليست التي شدته بيدها واجبرته على الوقوف. أسرعت الموسيقى واصبحنا ندور أسرع فاسرع. ومن وقت الى آخر، يخف الايقاع كأنه يترك لنا وقتاً للتنفس، ثم يعود الى الاسراع من جديد.

بعد هذه الرقصة، شعرت بالتعب. كلنا كنا نضحك ما عدا بول. حدق بي لحظة سريعة بينما كنت أحاول أن أرتب شعري رافعة يدي الاثنين. تمسك بي مايك فوقعت عليه في حركة استسلام. لكنني استعدت توازني بسرعة وابعدت مايك عني. فادار بول وجهه وتوجه نحو ليدا.

واخيراً انتهت السهرة وتفرقنا واتجه كل واحد الى سيارته. فاخذني مايك على حدة وقال:

«هل تأتين مرة اخرى لرؤيتي؟ يمكنني أن اخذ يوم عطلة، في الاسبوع المقبل. هناك هيكل قديم في الجزيرة، انه مكان جميل ويقع قرب شاطئ، رائع يمكننا ان نتغدى في الهواء الطلق ونسبح في المياه العذبة. ما رأيك؟»

ترددت وقلت:

«اني احب ذلك. لكني لا اعرف متى يرحل المدعوون. قبل ذلك سيكون فازيلي في حاجة اليّ بشكل اكيد.»

«حدد راوول رحيله مساء الاحد. ما رأيك لو حددنا موعدنا نهار الجمعة؟ سأتصل بك مساء الخميس.»

اني معجبة كثيراً بمايك. انه مرح ولطيف.

«اتفقنا. اشكرك.»

التفت ورأيت بول ينتظرني في سيارته وفي يده سيكارة فقلت:

«عليّ ان اذهب الآن. الى اللقاء يا مايك.»

فوجئت بليدا جالسة في المقعد الخلفي قرب راوول. وانا بت مضطرة الى الجلوس في المقعد الأمامي، قرب بول.

«اني اسفة. هل كنتم تنتظرونني؟»

قال بول بجفاف:

«آمل الأ تكوني قد اضطررت الى قطع الحديث.»

«كلا. كنا قد انهينا الحديث.»

رمقني بنظرة سريعة من طرف عينيه واقلع بالسيارة.

«يبدو أن البريطانيين يجدون دائما شيئا ليكون موضوع احاديثهم. او انه مغرم بك ببساطة؟»

«ان رفقته تعجبني.»

«هل حدد لك موعدا اخر؟»

«انه يدعوني الى نزهة وغداء في الهواء الطلق قرب احد الهياكل.»

«هيكل هرمس لم يبق منه سوى بعض الاثار. لكن المنظر هناك رائع يستحق الزيارة.»

قال ذلك وسكت واكملنا الطريق في صمت. كنت اسمع همسات ليدا وراوول. انهما صديقان قديمان.

بعد مرور يومين ارخت السفينة مرساها وتم الاتفاق على ان تذهب ليدا مع هيلين وزوجها وبعض الاصدقاء في نزهة حول الجزر حتى جزيرة رودوس. اما نحن، فسنذهب انا و نيكوس، والسيدة فاتنيريس والدكتور سيكيلياتوس وابنة اخيه هرميون. على متن يخت فازيلي الاوسيانس.

قال لي فازيلي:

«ستعجبك الرحلة. انها عطلة صغيرة وسيلحق بول الينا في الوقت المناسب ان لديه اعمالا كثيرة في الوقت الحاضر.»

«اني مسرورة جدا.»

بعد الحياة المزدحمة بين حمامات الصباح والنزهات في الخليج والتمارين الرياضية، بدت النهارات اكثر هدوء.

وعندما تشتد حرارة الطقس ويصبح من المستحيل البقاء على الشاطئ، كنت اصطحب نيكوس الى حديقة برسفوني. وكنا نجلس تحت ظلال شجرة الفلفل بجانب شلال خرير المياه ونتنشق عبير ازهار اللاوندة والصعتر الى نهاية احد هذه الايام الناعمة، وبعد ان تناولت طعام الغداء برفقة

فازيلي وصديق له، في غياب بول. التفت فازيلي نحوي وقال:

«ياعزيزتي اريد التحدث معك في صورة جدية. هل تسمحين لي بوقت قصير».

تذكرت المناسبات النادرة عندما كنت صغيرة وكانت مديرة المدرسة تستدعيني الى مكتبها. اما اليوم فهو المدير.

اشعل فازيلي سيكار هافان وبدا انه ادرك ارتباكي. فابتسم.

«انت متوترة. لماذا؟ انا وحدي الانسان المتوتر لدى طلب منك».

«طلب مني؟».

«لا اعرف اذا كنت ستفهمين جيدا. لكن ما ساقوله هو مهم لك ولي ايضا».

كان يحب التكلم بالالغاز. انتظرت حتى اخذ سحبة عميقة من سيكاره ليقول:

«لقد مضى على وجودك هنا في فيللا مارمارا حوالي شهر. وهذا الوقت الطويل قد يساعدك لتجيبي على اسئلتي بصراحة. هل تشعرين بالراحة والسعادة هنا؟».

«انها اجمل عطلة قضيتها في حياتي. كنت لطيفا جدا مع نيكوس ومعي».

«هذا لا شيء. ولا تستعملي الماضي للتحدث عن اقامتك. كأنها انتهت. اريد ان اناقش هذا الامر معك».

لم يكف عن النظر الي. ثم اضاف:

«انت سعيدة ومرتاحة. هل تشعرين وكانك في منزلك؟».

ترددت. اني احب الجزيرة، والفيللا، والبحر والشمس لكن ان اشعر وكأني في منزل. فيجب ان اشعر بمحبة تجاه فازيلي.

«اني مسرورة جدا هنا».

استرخى فازيلي في مقعده ونظر الى سيكاره الذي يحترق

«لست مقتنعة تماما في ماتقولين. هل انت متأكدة؟».

«متأكدة من ماذا؟».

«متأكدة من انك قادرة على البقاء هنا والعيش في ميلاينوس. هل انت مستغربة؟

أليس هذا طبيعيا؟ أنت ارملة الكسيس ووالدة حفيدي الوحيد. وليس لديك اسرة وعائلة ومال. ولأي سبب تريدين العودة الى انكلترا؟».

بقيت مرتبكة. البقاء في ميلاينوس والسكن مع فازيلي في بيت واحد؟

«لم افكر بهذا الامر. كنت اعتقد بأننا هنا في زيارة قصيرة. لقد جئت بنيكوس لنتعرف اليه. لا اكثر ولا اقل».

«اريدك ان تفكري في اقتراحي الاخير. آه. لا تقرري في هذه اللحظة بالذات. اريد ان تكوني متأكدة من قرارك النهائي. يجب على نيكوس ان يبقى هنا. انه عضو في هذه العائلة. وهذا كل ما سيرثه. يا ستاسي».

بقيت صامتة اهز برأسي خفية وقلت في تلعثم:

«لا اعتقد... لست متأكدة... ان الحياة هنا مختلفة تماماً. اني انكليزية وانكلترا تعني لي الكثير. وآمل ان يكون هذا إحساس نيكوس ايضاً. لايمكننا ان نقتلع جذورنا من البلد الذي ولدنا فيه».

«يا ابنتي العزيزة. انت تنسين انه. لو عاد الكسيس. لأصبحت مواطنة يونانية بصفتك زوجته. وتصبح انكلترا بلداً ثانويا بالنسبة اليك».

ترددت. ان ما يقوله فازيلي صحيح. لكن الامر مختلف. ان آتي الى هنا بصحبة الكسيس لأعيش في هذا البلد. بصفتي زوجته وليس بصفتي ارملته. سوف أكون خاضعة لفازيلي وسيكون مستقبلي متعلقاً به وسأخسر حريتي.

تابع يقول:

«ساشرح لك الامور بوضوح اكثر. لتعتبر وضع نيكوس في البدء. ما هو مستقبله؟ اذا بقي هنا. سيتربى بصفته حفيدي. وسيكون له افضل المعلمين. سيذهب الى احسن المدارس. والى الجامعة. في بريطانيا او في باريس. سيتكلم عدة لغات وسيصبح مواطنا يونانيا. ويوما ما. سيرث ثروتي وامبراطورية كرفيلس».

جلس في مقعده يتأمل سيكاره واضاف:

«هل تريدين أن تجردي نيكوس من كل هذه الامتيازات؟»

«لا. طبعاً»

«لكنك مازلت حائرة. ما هي اعتراضاتك؟»

«ليس هناك أي اعتراض. لكن كل هذه المشاريع لم اكن انتظرها. المهم هو اسعاد نيكوس.»

رحت اشد على يدي محاولة ايجاد الكلمات المناسبة، وقلت:

«انك تتكلم عنه كأنه سيتجاوب مع طلبك ومع طموحاتك. لكن ربما كانت له افكار مختلفة تماماً. ربما اصبح فناناً مثل والده ولا يرغب في ادارة هذه الامبراطورية.»

«اذا ترعرع هنا فأنه سيعي حقوقه ومسؤولياته وواجباته. الكسيس كان انساناً لطيفاً ورائعاً، لكنه كان ضعيفاً، وذلك بسبب تأثير والدته عليه. واني الوم نفسي على هذا.»

قطب حاجبيه واشاح نظره عني وتابع يقول:

«بعد سنوات قليلة من طلاقي من والدة بول، تزوجت مرة ثانية من امرأة شابة. كانت جميلة وجذابة، عكس الاولى تماما. كانت اميركية اصلية، وحرة ومستقلة. لكن زواجنا بدأ ينهار ولم اكن اريد ارتكاب الغلطة نفسها. لكن للأسف، اتجهت الى الجهة المغالية. كنت دائما مأخوذاً باعمالي التي لم تكن تهمها. كانت صحتها ضعيفة ورهيفة وكانت متعبة باستمرار. وكان هذا اشارة لمرض توفيت بسببه. كانت تفضل البقاء في الجزيرة، مع الكسيس الذي تحبه كثيراً. وبعد موتها، لم اكن قادرا أن افعل شيئاً من اجله.»

«اني آسفة. انها ذكرى اليمة.»

ابتلعت ريقي بصعوبة ثم قلت:

«انت تتكلم عن الكسيس كأنك لم تحبه ابدا، ولم تعجب به. لأنه حاد عن الطريق التي رسمتها له. هل تحاول ان تبين لي فظاعة هذا المثل، لتمنعني من

لكسيس حياتي كلها من اجل نيكوس؟ لكن، اذا اصبح مثل والده، فسأكون فخورة به.»

اخذ ينظر الي في امعان كأنني جرحت شعوره. فقال:

«ياعزيزتي، ان صدقك تجاه الكسيس يشرفك. ومن الطبيعي جدا أن تريه بهذه البراءة والاصالة. لكنك كنت متزوجة منه لسنة واحدة فقط او اكثر. ولم يكن حينذاك سوى شاب صغير. هل تعتقدين انك عرفتيه بما فيه الكفاية، كما عرفته انا، والده الذي عشت معه طوال حياته القصيرة؟ لا، لا اعتقد. لقد احببت الكسيس، لكنه خيب امالي. اريد ان الفت انتباهك الى اهمية الوراثة التي ستعود الى نيكوس واهمية التربية المناسبة له في مثل هذا المجال.»

قلت في لطف وهدوء:

«لكن الميراث يعود أيضاً الى بول. الن يكون المسؤول المباشر للشركة؟»

ضغط فازيلي على شفتيه ثم قال:

«آه، بول. نعم، بالضبط سيرث الشركة اذا حدث لي مكروه. لكنني الآن، انظر الى المستقبل. لم ينجب لي بول اي حفيد. وفي الوقت الحاضر، ليس لدي سوى نيكوس حفيد لي، واني افكر بالمشاريع من اجله.»

«لكن، بول عندما يتزوج سينجب اولاداً. لقد فهمت انه وليدا سوف...»

هل من مصلحتي ان اتكلم عن بول بهذه اللهجة؟ غمز فازيلي كأن لهجة صوتي جعلته يكتشف شيئا ما.

«انه تدبير تم الوصول اليه بين العائلتين منذ سنوات عديدة. وهذا غالبا ما يحدث هنا في اليونان. له فائدة اقتصادية بحتة. لكني لست موافقا في شكل تام على هذا الزواج. ان بول هو وحده المسؤول عن اتخاذ مثل هذا القرار. لكن، في الوقت الحاضر، وبسبب بعض الظروف الراهنة، لم اعد موافقا كليا على هذا الزواج.»

أسند ظهره الى مسند المقعد وقال:

«ربما الآن، تفهمين اكثر لماذا ارغب في ان يصبح وجودكما هنا نهائيا. انت

و نيكوس. اذا قررت البقاء هنا في ميلاينوس، سأدفع لك في الحال نفقة خاصة لنيكوس، تسمح له بالعيش في رخاء وبحبوحة حتى نهاية حياته، مهما كان ميراثه. واذا قررت العودة الى انكلترا، فلن اقدم لكما شيئا من هذا النوع»

رفعت ذقني وقلت:

«انها صفقة. اذا قبلت البقاء، فانك مستعد لتأمين مستقبل نيكوس المادي. لكنك ستهتم بتربيته حسب نظرياتك الخاصة. وهذا لايعجبني.»

«هكذا اذن. هناك حل آخر لست مضطرة الى البقاء هنا. انت حرة وستتزوجين يوما ما من رجل انكليزي، ربما. انت شابة وجميلة، وستنجبين الاولاد. اذن. لماذا لا تتركين نيكوس هنا؟»

انتفضت وقلت:

«انك.... انت لا تتكلم جديا! لن افصل ابدا عن نيكوس!»

فقال في صوت جاف:

«اني اكن لك الاعجاب. لكن، الا تعتقدين انك تهتمين اكثر من اللزوم بهذا الولد؟ هل انت متأكدة تماما من انه في وسعك تأمين مستقبله؟ ربما. لكنه سيكون مستقبلا غير مستقر وغامضا. هنا، سيتمكن من استعادة صحته وعافيته »

نهض واقترب من مقعدي، ثم اخذ يدي واضاف:

«اني امنعك من اتخاذ أي قرار في هذه الظروف. لديك متسع من الوقت. هناك عوامل جديدة يمكن ان تؤثر عليك. اني ذاهب في الغد الى اثينا وسأودعك من الآن. وخلال غيابي، ارجوك ان تفكري في الامر. سوف نتحدث من جديد لدى عودتي.»

رافقني حتى الباب وانحنى قبل خروجي. فاسرعت الى السلم وصعدت السلالم وانا في حيرة وارتباك. صحة نيكوس مهمة جدا واذا اعدته الى انكلترا، فهذا يعني انني سأسيء اليه.

فازيلي على حق. يجب الا اتخذ اي قرار في الوقت الحاضر

وفي اليوم التالي، اصطحبت نيكوس الى الشاطىء، وجهه الملوح بالشمس ذكرني بكلمات فازيلي. البقاء هنا في ميلاينوس؟ نعم، من الناحية المادية، وصحة نيكوس. لكن، ماذا عن الناحية المعنوية والنفسية...؟

تناولنا طعام الغداء برفقة بانايدس انه ونيكوس صديقان حميمان غالبا ما يتنزهان معا في الحديقة، يده بيده، يقص عليه بانايدس الاساطير اليونانية الشهيرة، وكان ابني مسحورا بهذه القصص.

وبما وضعته في فراشه، مساء هذا اليوم، هبطت الى قاعة الطعام، وتناولت العشاء برفقة بانايدس واصغيت بفرح الى قصصه الخرافية. ثم تركني وانسحب الى مكتب فازيلي للقيام ببعض الاعمال. وفضلت الخروج الى الشرفة لتهدئة اعصابي وتنشق الهواء المنعش.

وغريزيا توجهت الى حديقة برسفوني، التي اصبحت بالنسبة الي مزارا يوميا. انها حديقة رائعة. كأنها تقنعني بالا اغادرها ابدا. ولا اغادر جزيرة ميلاينوس بالذات. حشرات اليعسوب محلقة فوق رأسي، والهواء معطر بأريج الزهور المختلفة. مشيت ببطء نحو السلم الحجري ورأيت البحر بلون الذهب تحت شمس المغيب. والجزر البعيدة بدت خفية وغامضة، في الهالة الزرقاء.

جلست قرب السبيل ورحت اتأمل باقات الناردين النابتة بقربي. ومر وقت طويل وانا حالمة ناعسة. فجأة سمعت خطوات تقترب. فانتصبت واذا بي ارى بول يقترب مني. اردت الوقوف لكنه قال لي:

«لا لاتتحركي. قال لي انجلوس انك هنا»

«اعتقدت انك مع والدك في اثينا.»

هز بول رأسه. كان متعبا وملامحه مشدودة. اجابني قائلا:

«كلا. طلب مني ان اعود مساء اليوم»

«واستقلت الطائرة؟»

«نعم. انها الوسيلة السريعة. وركب والدي السفينة الى ... لديه بعض

الاعمال يريد انهاءها قبل الذهاب الى رودوس حيث ستنضم الى ليدا واصحابها.»

ليدا. هذا الاسم ذكرني بالحديث الذي جرى بيني وبين فازيلي.

«تبدين في تفكير عميق، عندما وصلت الى هنا. هل تشعرين بالوحدة؟»

«كلا.»

كنت اتفادى ان يلتقي نظري بنظره.

«لا شك ان شيئا ما يعذبك. لا احب ان اراك هكذا، يا ستاسي.»

كان يتحدث بصوت عميق ودافئ، جعلني ارتجف منفعلة. لا، ليس لأن هذا الصوت يشبه صوت الكسيس. لكن، اليوم، يبدو لي بول انسانا غريبا ومغلقا ويتعذر سبره.

«كلا. لم اكن حزينة بالفعل. لكن اشعر فقط.»

ترددت من الكشف عما في قلبي. لكنني قلت اخيرا:

«امس اصدر والدك بلاغا نهائيا... وقرارا لا يرد.. اذ طلب مني ان ابقى هنا في ميلاينوس.»

وعرضت له مخطط فازيلي بالتفصيل وانتهيت سائلة:

«انت على علم بالامر. اليس كذلك؟»

قال في صوت جاف:

«كلا. ان والدي لايخبرني باسراره ابدا. انه لا يثق بأحد. حسنا، وما هي المشكلة؟ الا ترغبين في البقاء هنا معنا؟»

ادرت رأسي والتقيت بنظرته القاتمة وقلت:

«ليس هذا ما اريد ان اقوله. طبعا هناك فوائد مادية كثيرة. لكن افضل واهم بالنسبة الى نيكوس ان يكون سعيدا وقادرا على اختيار طريقه ومستقبله بنفسه. لا اريد ان يدمر فازيلي مستقبل نيكوس كما فعل بالكسيس.»

«كيف في امكانك ان تفكري هكذا؟»

«ان والدك رجل مستبد. يخطط للآخرين، من دون ان يستشيرهم في الموضوع. لا تظني اني لا اقدر له جميله. لكنه يرعبني. سوف نفقد استقلالنا ولن يكون لنا اي خيار. لقد خطط منذ الآن لمستقبل ابني. وكذلك رسم خططا لأولادك، عندما تتزوج...»

ظل شامخا وقال:

«اذا تزوجت. لست مهتما بالامر بصورة خاصة.»

«لكنك على وشك الزواج، انت وليدا... كنت اعتقد انكما... لقد قال لي والدك...»

تغيرت ملامح وجهه ورسم تعبيرا ساخرا وقال:

«انها مشاريعه. لكن، كما قلت، لسنا دائما متفقين معه.»

«لكن... الست واقعا في غرام ليدا؟»

هز رأسه ببطء وقال:

«اني متعلق بها كثيرا. لكن بشكل مختلف. لست مغرما بها ولم يسبق لي ان احببتها ولا حتى امرأة اخرى. تعرفت الى العديد من النساء، لكنني لم اصل الى اي وعد بالزواج... مثل ما وصلت اليه، انت والكسيس.»

لم اكن ارى وجهه. لم اكن اريد أن اتحدث عن الكسيس، ولا عن حياتي في انكلترا، التي تبدو لي بعيدة جدا.

«في اليونان، وكما في بلدان اخرى، نتزوج عن مصلحة، ثم يقع الغرام بعد الزواج. اما في انكلترا وفي اميركا، حيث نشأت وعشت سنوات عديدة، الناس يتزوجون عن حب. ومتى مات الحب، لا يبقى شيء.»

فسألته في صوت خافت:

«واي نوع من الزواج تفضل؟»

هز كتفيه وقال:

«لا اعرف. قلبي يقول لي زواج حب وعقلي ينصحني بأن اقوم بزواج مصلحة. لا

اعرف..»

«هل من المفروض ان تتزوج من ليدا.»

«لقد فكرت في الامر. لكن..»

امسك يدي وانحنى نحوي. شعرت بلهاثه على خدي ثم تابع كلامه فجأة:

«لا تعودي الى انكلترا، يا ستاسي ابقي هنا.»

لم يكن في امكاني ان ارد. كنت ارتج بتأثير لمسته كان اعصارا هزني لم اشعر من قبل بهذه الاحاسيس. هل يشبه الكسيس كثيرا؟ كنت اراقبه هل سيعانقني؟

فجأة ارتفع صوت من بعيد احبط هذا الافتتان. وسمعنا صوت ستراتوس يصرخ:

«سيدتي، مطلوبة على الهاتف. إنه المطار. السيد مايكل هردينغ يريد ان يحدثك.»

عدت الى الواقع وقلت:

«آه، شكرا يا ستراتوس اني آتية.»

رمقت بول بنظرة خاطفة. فرأيته جامدا فقلت:

«اعذرني. انه مايك على الهاتف. لقد قال لي انه سيتصل بي هاتفيا.»

«ارجوك.»

هذه اللحظة الرائعة توارت في ثوان قليلة. وانا عائدة الى الفيلا، خيل الي انني كنت اعيش حلما

٥ ـ لأنك خائفة!

لم ار بول في المساء. بعد عودتي الى الشرفة بعدما تكلمت مع مايك في الهاتف، كان قد اختفى. جلست في أحد المقاعد المغلفة بالقماش الايراني. بينما كان بيتروس يضيء الانوار العريض يتطاير امامنا ويتراقص كأنه مسحور بالضوء. رحت احاول القراءة. لكن ذهني كان شاردا واذني تصغي الى اقل حركة او صوت.

بعد قليل جاء السيد باتابيدس وجلس في مقعد بقربي. واخبرته عن مشروع زيارة هيكل هرمس واشرت الى ما اقرأه، قصة قصيرة عن تاريخ هذا المعبد. ثم تحدثنا قليلا الى ان حان موعد الاخلاد الى النوم.

اتفقت مع مايك على أن يأتي في العاشرة من صباح يوم غد لكي نقطع الجزيرة قبل اشتداد الحر وحتى في هذا الوقت كانت الحرارة في أوجها. ويوما بعد يوم، تبدو الشمس محرقة والنور قويا. لكن رياح الملتيمي تجعل الجو منعشا قرب الخليج، وتشتت سحابة الحر.

والتقيت بول. كان خارجا من مكتبه ورآني اتحدث مفصلا مع ديمو

«صباح الخير.»

كان نظره القاتم يحدق بسلة الاكل التي احضرتها الطباخة وبمنشفة البحر وبذلة السباحة.

«انت ذاهبة اليوم مع مايك، اليس كذلك؟»

«نعم. سنذهب الى معبد هرمس.»

«وهل تأخذين نيكوس معك؟»

«كلا... اني... حسب مايك، الرحلة طويلة ومرهقة لنيكوس وكل هذا الاثار لن تهمه. سيلعب هنا برفقة يورغوس، ابن الطباخة.»

ومن دون ان اعرف السبب، كنت اتكلم بسرعة واضطراب.

«هكذا تستفيدان كل واحد منكما من رفقة الآخر.»

لم يكن ساخراً، انما بارداً. وكانت لهجته مريرة. كنت اتصوره مثل قازيلي متقشفاً، ومهيناً، لا يرحب بالقرارات المتخذة من دون استشارته. كان يرتدي بذلة بيضاء ولا يبدو انه سيذهب خارج الفيللا اليوم. فسألته:

«الست ذاهبا الى اثينا اليوم.»

«كلا، لقد حصلت على عطلة صغيرة.»

«لو علمت بالامر... اعني، من الاسف الا تذهب الى النزهة في مثل هذا اليوم. ارجو الا تكون حاقدا علي؟»

«ملماذا احقد عليك، يا ستاسي؟ انت هنا في منزلك وانسانة تتمتع بحريتها كاملة.»

الصداقة التي ولدت بالامس اختفت فتساءلت كيف كان في امكاني ان افشي له باسراري.

نظر بول الى ديدو وقال:

«ارسل وراء انجلوس، من فضلك.»

ثم التفت نحوي من جديد وقال

«اتمنى لك نهارا جميلا واعذريني الآن.»

توجه في الحال الى مكتبه ولا شك انه سمع اصوات الابتهاج، لانه ما ان اقفل الباب وراءه حتى دخل مايك يتبعه ستراتوس وغادرنا المكان ونحن نتحدث

في حماسة. الطريق تصعد باستمرار في سفح الجبل. بعض الاشجار هنا وهناك، والاراضي القاحلة، وفي كل مكان، كان البحر، كأنه غطاء واسع من الحرير الازرق. الزوارق الصغيرة والضيقة مزروعة على سطح الماء تلمع وهي تتمايل. والجزر البعيدة تبرق مثل حبات الماس الصغيرة على الماء الزرقاء.

توقفت السيارة على مفرق طرق. قال مايك:

«انها نهاية الطريق. والآن علينا ان نمشي. الطريق غير معبدة ولا يمكن للسيارة ان تجتازها.»

خرجت من السيارة وبقيت جامدة خرساء امام هذا المنظر الرهيب. الجبال قاحلة تماما والنباتات النادرة مؤلفة من الصعتر البري والسياق. الفراشات الصفراء تحلق بحرية والسكون يلف كل الانحاء.

بقينا مسمرين لحظة طويلة، إلى ان اخذني مايك من كتفي وقال بلطف:

«من هنا.»

الطريق الضيقة تنحدر بين الاشجار. اشجار الصنوبر الضخمة والملتوية تتجمع على بعضها. كنا نطأ الارض على بساط من الحشيش الناعم الاخضر. الطقس منعش ولا عصفور يزقزق. وصلنا الى فرجة تطل على البحر ومن هنا شاهدت العواميد الاثرية تحد مساحة مستطيلة، وفي وسطها تمثال رجل عار.

سألت مايك وانا اشير الى التمثال:

«هل هذا هو تمثال هرمس؟»

«كلا. انه تمثال يدعى في اللغة اليونانية: كوروس. نحت في القرن السادس قبل المسيح، وهذا النوع من التماثيل تقدم عادة الى الابطال، او احيانا الى الشخصيات الشهيرة الراحلة.»

اقتربت لأتأمل هذا التمثال بحجم الانسان. كان منتصبا واضعا يد على وركه، واحدى قدميه متقدمة الى الامام. من الصعب تمييز التفاصيل التي انتزعها الريح والطقس. أصابع احدى يديه تفتتت، ومع ذلك كان الشاب يبدو

وكأنه حي.

«هذا جميل حقاً. اتساءل ماذا حل بهرمس.»

«ربما لم يأت الى هنا أبداً. ان هذا جزء من الاسطورة.»

توجهت الى طرف الشاطىء الصخري وانحنيت الى الامام وصرخت:

«يا له من مكان غريب لبناء هيكل.»

اقترب مايك مني وامسكني بيدي وقال:

«احذري الوقوع. نعم. ان هذا رائع، لكن بحر ايجة مليء بمثل هذه الامكنة.»

«كل هذا فاتن. انه عالم مختلف تماماً اذا ما قارناه بانكلترا. اذا غادرت اليونان، فلا اعتقد اني سأعود اليها مرة ثانية، لكني سأظل اتذكر بصورة دائمة هذه المناظر.»

«لماذا لا تعودين؟ سيدعوك فازيلي كل سنة.»

«كلا. اذا عدت الى انكلترا، يتبرأ منا.»

«ولأي سبب؟»

جلست على إحدى الصخور الضخمة وقلت:

«انها قضية معقدة. اتريد ان تسمعها؟»

«طبعا. اخبرني.»

اطلعته على الحديث الذي دار بيني وبين فازيلي. فأصغى في عبوس ثم قال:

«هذا الرجل يعتبر نفسه كل شيء؟ تتخلين عن نيكوس. يا له من انسان مسكين في كل حال. ان مكانه بقربك.»

ابتسم وبرغم النظارتين السوداوين اللتين تحميان عينيه من الشمس. خيل الي انني ارى عينيه. انه يكن لي مودة قوية. فتنهدت وقلت:

«بالنسبة اليك الامر يبدو سهلاً. وهو ان اختار بين البقاء او الرحيل. لكن المشكلة هي نيكوس. انه في صحة جيدة هنا. في بلاد الشمس. اذا اصطحبته الى

انكلترا...»

«لدي حل.»

وقف وامسك بيدي وقال:

«تزوجيني، يا ستاسي. فانا احبك. لا. لا تبتسمي. اني لا امزح. ليس من السهل ان اقول هذا الكلام. لكني اشعر به في كل اعماق قلبي. اني اعتني بك وبنيكوس الذي سأحبه وكأنه ابني. يمكننا ان نعيش هنا. في ميلانيوس، حتى نهاية عقدي. الا اذا طردني فازيلي. وهكذا نذهب الى نيوزيلاندا ونؤسس اسرة هناك. ستحبين البلد، ياحبيبتي والطقس جيد ويلائم صحة نيكوس.»

ترك يدي ووضع ذراعيه حول خصري، ثم انحنى قليلا. لينظر اليّ وقال:

«ما رأيك؟»

قلت في صوت مضطرب:

«آه، يا مايك.»

«ماذا يعني هذا؟»

«لا اعرف. اني مضطربة وحائرة. انت انسان طيب واني احبك. لكن...»

«لست واقعة في غرامي. اعرف ذلك. اني لا ابحث في ان احل مكان الكسيس. لكن يجب ان يهتم أحد بك وبنيكوس. وانا قادر على ذلك. سأسعدك، يا ستاسي. لست في مستوى آل كرفيليس. لكني لدي مؤهلات ووظيفة محترمة تدر علينا ما يكفينا ولن نكون فقراء.»

«ارجوك، ليس المال...»

ابتسم بسرعة وقال:

«لن اقدم لك الترف والثروة كما سيفعل فازيلي. لكن المهم بالنسبة اليك هو عدم العودة الى انكلترا وشيء آخر ايضا هو انني احبك.»

ضغطت بيدي على كتفه وقلت

«آه، يا مايك»

شدني نحوه ووضع رأسه في شعري. وقال:

«هل الجواب هو نعم؟»

«لا. هذا يعني شكرا لأنك احببتني وتريد مساعدتي.»

ثم تابعت:

«الزواج هو اختيار جدي. لايكفي ان نكون متفقين مع بعضنا البعض. انه اقوى من الصداقة. لايمكننا ان نخوض في الزواج من دون التفكير مطولا بذلك.»

«سبق واخترت الزواج مع الكسيس وكنتما شابين في سن ال ١٩. كيف كنت متأكدة من نفسك، حينذاك؟»

كيف؟ لكن هذا هو الماضي. لقد التقينا وكان الحب من النظرة الاولى.

وفجأة تذكرت ذلك الاحساس الذي شعرت به مساء امس، مع بول. انفعلت لشدة تشبهه بالكسيس بينما مع مايك اظل باردة. فشعرت بخجل من هذا الموقف تجاه هذا الانسان الجذاب.

جذبني نحوه وراح يعانقني. انه غريب وغير اعتيادي. كنت اخاف ان يعانقني أحد ويأخذ مني ردة فعلي المنفعل الذي احتفظت به لألكسيس. فبقيت جامدة مثل الخشب، لأنه منذ زمان...

افلتني وقال:

«لم تفهمي ما اريد.»

«اني أسفة... لا اقدر... لا...»

«الست من نوع الرجال الذي تفضلين؟»

«كلا. انها غلطتي. وربما لأن ليس هذا المكان المناسب ولا الوقت المناسب.»

«هل تحبين شهر العسل على انغام موسيقى الكمان؟»

«لا. لم اعد فتاة صغيرة. اني ارملة.»

شعر بمرارتي وبحث عن يدي وقال:

«ستاسي حبيبتي. اريد ان احبك. لكن فقط اذا سمحت بذلك. اخاف ان

استعجل الامور، مرة اخرى. وسيأتي يوم واخرق هذا الستار الحديدي الذي يحميك من كل تأثير. يجب ان يعاملك المرء بلطف كبير.»

تنهدت وقلت:

«انت رجل يتفهم الامور»

ضغط على اصابعي وقال:

«احبك واريد ان اتزوجك. والآن سنستفيد من هذا النهار الجميل. اذا كانت زيارة الآثار تكفي، يمكننا ان نعود الى السيارة ونبحث عن مكان نسبح فيه.»

«اتفقنا.»

«في المساء نتناول العشاء في تيفتيوس. ويمكننا ان نرقص في النادي. تعالي.»

عدت الى السيارة. وكان مايك رائعاً. ولم يذكر حديث هذا الصباح الا مرة واحدة بعد السباحة. فقد اكتشفنا خليجا صغيراً بين الصخور واشجار الصنوبر.

احضر لنا الطباخ وجبات لذيذة الطعم: الكوسى المحشي بالرز واللحم، ورقاق محشي بالجبن والسبانخ. وفاكهة الكرز والعنب. بعدما اكلنا تمددنا في ظل الصخور. اغمضت عيني. وبعد لحظة، لاحظت ان مايك ينظر اليّ.

شعره وذقنه مبللان بقطرات المياه التي تبدو كاللؤلؤ. جسده القوي وعيناه الزرقاوان اللامعتان. وبشرته التي لوحتها الشمس. كل هذا يذكرني بالفايكينز.

تحدث الي في صوت ناعم وقال:

«هل تعرفين يا ستاسي، كأنك وجدت للحب.»

اقترب مني، فحاولت ابعاده وقلت:

«مايك، لقد وعدتني...»

«حسنا، لن احاول مرة اخرى، لكنك كنت جميلة في بذلتك البيضاء...»

«استرح. انه وقت القيلولة.»

نظرت اليه. كان قد اغمض عينيه وبعد دقائق، كنا نائمين.

استيقظنا بعد حوالى ساعة. ثم عدنا للسباحة من جديد. ثم رحنا نتنزه بين

اصطحبني مايك الى مطعم جديد كان سقفه مغلفا بالقماش الازرق وفي احدى زوايا الغرفة موسيقيان يونانيان يعزفان والناس يرقصون.

وخلال العشاء أضيئت مصابيح على شاطىء البحر وكذلك القناديل في صواري السفن.

كنا على وشك احتساء القهوة عندما نادى مايك رجلا يصطحب فتاة رائعة الجمال، شعرها اسود طويل. انه مهندس اسكتلندي يعمل مع مايك الفتاة تدعى ايسا ديفري وهي معلمة. تتكلم الانكليزية بطلاقة. وبقينا معا حتى نهاية السهرة.

مرّ الوقت ونحن نتحدث ونعطي رأينا في بعض الامور، ونرقص. وقبل منتصف الليل، انصرفنا بعد ما تواعدنا على ان نلتقي مرّة اخرى.

القمر بدر والجبال تلمع مثل الفضة. والبحر يمتد أمامنا، طوال الطريق حتى فيللا مارمارا. كل شيء كان جميلاً وهادئاً.

الانوار تتلألأ من نوافذ الفيللا. لا شك ان نيكوس نائم. خرجت من السيارة وليس في ذهني الا الاسراع الى غرفتي والقاء نظرة الى فراش ابني. ودعت مايك قائلة:

«شكرا، يا مايك. لقد امضيت نهارا رائعا.»

اغلق باب السيارة بهدوء وامسك يدي وقال:

«كم انا سعيد. وبعد عودتك من الرحلة البحرية الى رودس على متن باخرة فازيلي، سنلتقي ونبدأ من جديد. متى تعتقدين انك ستعودين؟»

«ربما بعد اسبوعين.»

«فكري في ماقلته. انني ملجأك الوحيد.»

«لن انسىٰ والآن سأتركك، يا مايك.»

جذبني وعانقني بعنف وقال:

...ـير ... الطريق الصحيح تصبحين على خير، ياحبيبتي. اني احبك.»

...حرّ ... السيارة ولوح بيده وهو يقلع في سيارته. وانا لوحت بيدي في صمت حتى الا... رعج احدا في مثل هذا الوقت.

كان انجلوس ينتظرني وراء الباب. انحنى وهمس مساء الخير في تهذيب وتناول السلة ثم اشار الى قاعة الاستقبال. كان بول جالسا في احد المقاعد واضـ...ـعا يديه في جيب سترته البيضاء. وقال

...ت متأخرة.»

«لم اكن اعرف أن عليّ ان اعود في وقت محدد.»

«هل امضيت كل هذا الوقت مع السيد هاردينغ؟»

«طبعا.»

«لقد ذهبت لقضاء وقت في الهواء الطلق، لكن ما حدث يشبه عشاء تحت سماء مقمرة.»

«ذهبنا الى نيفيتيوس. لكن لماذا تتدخل في شؤوني؟»

نهض وتقدم نحوي وسألني:

«هل ستتزوجين السيد هاردينغ؟»

ابتسمت ثم هززت كتفي وقلت:

«لااعرف. لم اقرر بعد.»

«هل عرض عليك الزواج؟»

«لماذا يهمك الامر؟ اريد ان اصعد الى غرفتي واطمئن الى نيكوس.»

حاولت دفعه عني. لكنه كان قد امسك بمعصمي وقال:

«لقد تركته طوال النهار. وهذه الدقائق لن تؤثر عليه بشيء، خاصة وأنه نائم الآن.»

حدق بي في الحاح ولمعت عيناه القاتمتان وشعرت بلهاثه على خدي. غريزيا دفعته بعيداً عني فقال:

«تفكرين بالزواج من مايك كي لا تعودي الى انكلترا. أليس كذلك؟ لكن لن يحدث كما تتوقعين.»

«كيف.. كيف عرفت ذلك؟»

شدّ على معصمي وقبض بيده الثانية الى ذراعي. لم يعد في وسعي التحرك انحنى وقال هامساً:

«اذن؟»

لم اكن قادرة على التحديق فيه. فاضاف يقول:

«قد استطيع مساعدتك على التفكير.»

وبدأ يعانقني وراح الدم يغلي في عروقي. شعرت اني اعيش من جديد. كأني كنت انتظر هذه اللحظة بفارغ صبر. لقائي الاول مع بول كان حاسماً وقطعياً. لقد رأيت فيه الزوج الذي اريده.

وجدت نفسي في حيرة من عواطفي. عندما جذبني بول اليه. ويداه تداعبان كتفي، ثم شعري الناعم. الزمن والظروف افلتت مني. كلياً. وغبت عن الوعي. منجذبة باحاسيس لم يسبق ان عرفتها

لم اتذكر كم من الوقت مضى على هذا العناق. فجأة. جذبني بول الى المقعد المجاور. حاولت التخلص من قبضته ورحت ادير رأسي في كا اتجاه واقول:

«بول، ارجوك.»

تخلصت من قبضته وفي لحظة اصبحت واقفة امامه اقترب مني وشعرت بصدره يرتفع كأنه كان يركض. فسألني:

«ماذا هناك، يا ستاسي؟»

لم اكن اعرف ماذا جرى. ربما انجذبت له جسدياً. ليس لأنه بول، بل لأنه يشبه الكسيس. كنت اريد ان يحبني شبحه.

«اعذرني. ان هذا الجنون.. اني... اني...»

لم اعد اجد الكلام لأعبر عن مشاعري. فتوجهت الى الباب واذا به يلحق بي

ويتمسك بيدي ويقول:

«ستاسي، منذ دقائق قصيرة، كنت تريدينني. وأنا أيضا كنت أريدك. لاتخجلي. يجب ان تعرفي اني وقعت في غرامك. ذلك المساء، في حديقة برسفوني. هل تتذكرين؟ كنا نتكلم عن والدي، وعن الكسيس. وفجأة شعرت بشيء، أقوى مني. شعرت باني احبك حتى الجنون. كنت اتصور اني بدأت اعرفك. لكني اريدك لي وحدي.»

كنت ارتجف في كل انحاء جسمي.

«لا تقل هذا. لا فائدة منه. انت الكسيس نفسه. وهذا مايضللني لا اشعر تجاهك الا بانجذاب جسدي كأنك انت الكسيس بالذات. انه هو الذي اريد وليس انت.»

حدق بي في غرابة وقال:

«اني افهم. خيل اليك انك موجودة مع شبح.»

«نعم. هذا هو الامر. هذا جنون. انت تشبه الكسيس كثيراً. عندما عانقتني استعدت ذاكرتي. كان شيئاً رائعاً.»

«لكن... لكن الا تشعرين بالشيء نفسه مع مايك؟»

«اني الا اشعر بشيء تجاه مايك. معك. الامر يختلف في هذه اللحظة. كنت على استعداد للاستسلام. كانك حللت مكان الكسيس.»

«هل هذه فكرة سيئة؟»

«لكن، انها علاقة خاطئة. فضلا عن انني لا اريدها.»

«لان الانسان الذي يجذبك هو أنا، أو فقط من ناحية المبدأ.»

«من ناحية المبدأ. لأني احببت الكسيس. ولأننا كنا سعيدين. اريد ان اعرف السعادة نفسها.»

هز كتفيه وقال:

«ان الكسيس مثلك الاعلى لكن يجب عليك أن تفرقي بين انسان ميت وبين

هدفك انك تبحثين عن المستحيل، فقط كيلا تجديه لأنك خائفة من السقوط في الحب مرة ثانية.»

«اخاف من ماذا؟»

«تخافين من مأساة اخرى، من مصيبة جديدة تدمر سعادتك. ان شبهي بالكسيس يجذبك ويرعبك. تخافين أن تحبيني، ولذلك تخلقين الصعوبات. انك تلعبين بالنار.»

«ماذا تقصد؟»

«تحاولين لجم انفعالاتك، لكنها ستنفجر يوما ما. سبق وقلت انك لاتشعرين بانجذاب لأي رجل اذا كان لايشبه الكسيس. هذا خطأ. انك تجسدين هذا الحب في محبتك الرفيعة لأبنك. كنت منذ قليل مستعدة لأن تحبيني. عندما كنت بين ذراعي. وكان الاضطراب والتوتر ومن دون ان ابدو متعاظماً، اعتقد انه يجب عليك ان تفكري بالامر. ومن جهتي فانا في سن ناضجة واعرف ما افعل.»

«اتريد ان اكون عشيقتك؟»

«لم اقل هذا ابدا.»

«لكنك تنتظر ذلك مني. والحل الوحيد لأتخلص من عقدتي هو أن استسلم لك لأنك تعتبر نفسك عاشقاً ممتازاً. وفي امكانك ان تجعلني انسى الكسيس. لا، لا اريد.»

بدأ صوتي يرتعش فقلت.

«دعني لوحدي.»

تراجع خطوة وهزّ رأسه وقال

«حسناً. تصبحين على خير.»

لم ارد على تحيته وركضت مسرعة الى غرفتي. تكلم بول في هدوء كبير. وماذا انتظر؟ ان يأخذني بين ذراعيه؟ ياهذه السخافة!

دخلت الى غرفتي المضاءة بقنديل خافت موضوع قرب السرير. كان نيكوس

نائما في عمق. بقيت مدة طويلة اراقبه فهدأت اعصابي تدريجياً

كيف استطيع ان ابقى هنا بعد الآن؟ حتى من اجل سعادة نيكوس، يجب ان اطلع فازيلي على قراري. سنغادر ميلانوس. ساجد عملاً في مكان آخر من اجل صحة نيكوس

ربما يكون في استطاعة صابك مساعدتي. ان له اصدقاء كثيرين في نيوزيلاندا. ولكن ماذا بعد ذلك؟ ساجد نفسي مضطرة لأن اتزوجه.

٦ ـ متى تغيرّت؟

في الايام التالية تحاشيت الاتصال ببول. كنت دائما برفقة نيكوس او السيد بنابيدس، ثم عاد فازيلي.

نويت الذهاب الى رودوس. اليخت بانتظارنا في الخليج.

قال لي فازيلي:

«هذه الرحلة ستفيدك كثيراً انك تبدين شاحبة ومرهقة، ياعزيزتي. قد يكون الحر قوياً بالنسبة اليك. لكنك ستحبين نسيم البحر المنعش.»

كنت أبحث عن طريقة لأقول له إننا لن نصعد الى متن يخته واننا سنغادر البلد. لكن الكلمات لم تخرج من فمي. كنت اتقبل قراراته بضعف، مرغمة نفسي على التفكير بأن ما يحصل يخدم مصلحة نيكوس، اي صحته، وبعد عودتي سأعلمه بالأمر.

أخيراً ذهبنا، وكنا، فازيلي، بول، نيكوس، السيدة فانتريس والدكتور سيكيليانوس وقريبته هرميون، وانا.

لم يسبق لي ان رأيت مثل هذا اليخت الجميل وفي الحقيقة لم ابحر من قبل أبداً. اعلمني السيد سيكيليانوس ان هذا اليخت مؤلف من ثماني غرف، اضافة الى ستة امكنة لطاقم الباخرة، وانه مكيف بالهواء، ومجهز بمحركات تستخدم في صناعة سيارات الرولس رويس الشهيرة.

غرفتنا، نيكوس وانا، كانت زرقاء وبيضاء، وفيها حمام خاص مثل الغرف الاخرى.

استقبلتنا قاعة الاستقبال الرمادية اللون والحمراء، ذات الهواء المكيف والمنعش، بعد نهار امضيناه تحت اشعة الشمس اللاهبة. كنا نتناول العشاء كل مساء في غرفة الطعام، ونتناول الغداء غالبا على سطح السفينة، تحت خيمة من الستائر السميكة، المقلمة بالازرق والابيض.

البحر يلمع والسماء زرقاء من دون غيوم. والجزر القريبة ومرافئها الصغيرة ومنازلها البيضاء والصفراء، جزر اخرى، صخرية، تنتصب جبالها المنحدرة والوعرة والمقرعة تحت السماء.

في الصباح كنا نسبح حول اليخت، وحتى نيكوس بالذات بدأ يحب البحر ولم يعد يخاف منه. وصحته بدأت تتحسن وكان يشترك معنا في السباحة الدكتور سيكيليانوس، وهو سباح ماهر بينما كان فازيلي يبقى على سطح الباخرة مع السيدة فانتريس التي لاتسبح.

وكان من الطبيعي ان تشكل الشخصيات التي تنتمي الى العمر نفسه فريقا واحداً، بينما كنا، بول وهرميون ونيكوس وانا نؤلف فريقا آخر. لكن، كي اتحاشى وجودي مع بول، كنت امضي معظم وقتي مع السيدة فانتريس. فهي ذات حيوية ودفء كبيرين، وعندها من القصص مايسلينا. ولذلك بدأت اتعلق بها.

اول محطة توقفت السفينة فيها في جزيرة ديلوس. وهنا قال فازيلي:

«سيكون الطقس شديد الحرارة، ومع ذلك من الافضل زيارة الجزيرة تحت اشعة الشمس وهكذا تفهمون السبب الذي من اجله سميت هذه الجزيرة مهد ابولون. هنا سترون النور النقي. انتعلوا احذية متينة، لأن الارض صخرية برغم كون الطريق قصيراً.

فسألته:

«هل سيتمكن نيكوس من ان يتبعنا»

«طبعاً. في سنه، لن ينسى مثل هذه المناطق الساحرة والهيكل السري»

فازيلي يقرر كل شيء. انزلنا الزورق قبل الظهر وفهمت للحال معنى كلمات عمي. النور انبثق من كل مكان. كأنه حي. والشمس تشع كالجمر. كل شيء يبدو ملتهباً وكنا نقترب مأخوذين بنشوة الاضاءة. اخذنا طريق الهيكل.

لم اكن انتظر شيئا يفوق التصور. الركائز والتماثيل شيء رائع. لكن، أمام عيني، انتصبت الاثار الضخمة، وسط الحشائش والشجيرات كأنها بقايا زلزال.

اخذت انظر الى بقايا الاروقة، وقطع العواميد، كلها من الرخام الابيض يعكس النور.

اقترب بول مني وقال:

«الهيكل كان هنا.»

انتفضت بعصبية، لأنه، منذ زمان، لم يكن هناك مناسبة لنلتقي.

«وهذا كل ما تبقى من ابولون. الصدر فقط»

حاولت تخيل النحت الضخم، كيف كان. فقلت من دون انفعال:

«لاشك ان تمثال ابولون كان ضخماً.»

«نعم. ان قاعدته كانت بطول خمسة امتار، وعرض ثلاثة امتار وعلو عشرين متراً. وهذا الهيكل كان من اهم الهياكل اليونانية اجلالاً. وجزيرة ديلوس من اقدس الجزر.»

توقف وحدق في عيني. فسألته:

«الى ماذا يرمز ابولون. هل يرمز الى الفنون.»

«ان ابولون يمسك في يده قوساً وفي يده الثانية صورة ثلاث نغم: الموسيقى، الرقص والنور. وهو بالذات كان رمز القوة. كان يحمي القطيع ويحب التوازن

والعدل. ومن اقوال ابولون: «لاتجاوز ولا افراط. اعرف نفسك بنفسك.»

اقتربت هرميون ووقفت من الجهة الثانية للتمثال. كانت تصغي الى ما يقوله بول في اهتمام، كأنها مجذوبة اليه. كان يرتدي قميصاً بحرياً وسروالاً ابيض. بشرته سمراء وعندما ابتسم اظهر عن اسنانه المرصعة البياض.

«انه رمز الموت المفاجىء، والانتقام. لكنه كان يشفي بسرعة ويقتل بسرعة.»

تنهدت هرميون وقالت:

«كل هذه الاشياء الجميلة اختفت اليوم.»

«لقد سرقت اثينا الكنز وبنت الحضارة من جديد. لكن الناس مازالوا يؤمنون بابولون.»

نادى الدكتور سيكيليانوس هرميون قائلاً:

«اريد أن اطلعك على ما هو مكتوب هنا. وانت يا بول ربما كان الامر يهمك.»

وعلى مضض وافقت هرميون على الذهاب الى حيث كان الطبيب بينما قرر نيكوس الجلوس في الظل.

قلت:

«سالحق بنيكوس.»

فأخذني بول من يدي وقال:

«يبدو انك تحاولين التهرب مني في هذه الايام.»

كانت لمسته تحرقني فقلت:

«ارجوك يا بول.»

«لم اغير رأيي. اتعرفين هذا؟»

حاولت التخلص من قبضته.

«هذا لا يجدي شيئاً. ساغادر ميلانيوس وساصطحب نيكوس معي. وساذهب الى حيث اجد عملاً.»

«الى نيوزيلاندا، اليس كذلك؟»

«ربما. لم افكر بعد بهذا الامر»

«لا تكوني حمقاء، يا ستاسي.»

«هذا أمر لايعنيك. دعني من فضلك.»

كنت اتحدث في صوت مرتفع، بحيث كان في امكان الآخرين سماعي فاسرعت الى نيكوس وقلت.

«اين انت يا عزيزي؟»

كان فازيلي واقفاً في طريقي فقال:

«هل انت مضطربة؟ اعذريني اذ لم يكن في وسعي أن اتفادى الاصغاء الى الحديث الذي جرى بينك وبين بول.»

«لا بأس...»

«ان بول هو اخر انسان يمكنه ان يؤذيك. انه معجب بك جداً.»

اقترب مني ليرافقني لكنني خطوت الى الامام. قال:

«هل في امكاني ان اساعدك؟ أن العب مثلاً دور الحكم؟»

وجدت ان الوقت مناسب لأقول له:

«في الواقع كنت اقول لبول إنني اريد مغادرة ميلانيوس. لايمكنني البقاء هنا ولا اريد ترك نيكوس عندك.»

رفع يده وقال:

«انني ارفض حججك، يا ابنتي العزيزة. لايهمني ما يقوله بول. كان يحاول بالطبع ان يقنعك بالبقاء. اننا نقوم الآن برحلة جميلة لنستريح، فلا تفكري في هذا الامر الآن. اذ لديك الوقت الكافي بعد عودتنا.»

كنا قد وصلنا الى قرب نيكوس فقال فازيلي

«لقد وجد نيكوس مكاناً في الظل. اجلسي واستريحي، يا ستاسي. سآخذه ليرى

بقية الاثار. تعال مع جدك يا نيكوس، سأروي لك حكاية جميلة.»

«اي نوع من القصص؟ قصة باتمان؟»

«لا. انها قصة قديمة جداً. وبطلها ابولون رمز النور.»

ابتعد عني وبقيت جالسة في الظل. ليس من السهل اقناع فازيلي. يبدو أنه يدرك نوع العلاقة بيني وبين بول.

كانت الرحلة رائعة ومع ذلك فقد كنا جميعاً تواقين الى الصعود الى متن السفينة. وبعد حمام بارد احتسينا الشراب المنعش قبل ان نتناول طعام الغداء. بعد ذلك انصرف كل واحد الى اخذ قسط من النوم.

في المساء جلست مع السيدة فانتيريس، بينما كان فازيلي وهرميون وبول والدكتور سيكيليانوس يلعبون البريدج في قاعة الاستقبال.

لم ترافقنا السيدة فانتريس الى جزيرة ديلوس التي تعرفها جيدا. قالت:

«انها تجربة جميلة. يجب أن يزور الجميع هذا الهيكل، ولو مرة واحدة في الحياة.»

«هذه الاثار كم هي رائعة، لكنني لم اقتنع بالاساطير.»

«صدقيها. الاساطير هي اليونان والا فليس هناك سوى الحجارة.»

رفعت رأسها نحو السماء الزرقاء المرصعة بالنجوم وقالت

«هناك عالمان، يا ستاسي. ذلك الذي نراه وذاك الذي نشعر به. العالم الثاني مختبىء وراء الاول. ويوما بعد يوم يشرح لنا العلم اكتشافاته مدمراً الاساطير وخيالات الازمنة. لم يعد القمر سوى كوكب تابع وصارت النجوم كواكب سيارة، في امكاننا تصويرها ومعرفة المسافة بينها وبين الارض. كما يمكننا ان نأخذ زهرة وننتزع منها اوراقها، الواحدة بعد الاخرى. لكن هل في امكاننا ان نصنع وردة؟ لايمكننا حتى اختراع الحبة التي منها تنبت الزهرة.»

التفتت اليّ وابتسمت ثم اضافت:

«انني اعتقد بأن الحالمين والشعراء أهم من العلماء. انهم يلخصون الحياة في قاعدة

بسيطة. الست من رأيي؟»

«ما سبق لي ان فكرت في هذا الامر، لكنني اصدقك.»

«انت انسانة عاطفية، تؤمنين برجل واحد وبحب واحد. انا لم اتعرض لهذه التجربة. لم اتزوج عن حب واحببت عدة رجال لكنه لم يكن الحب الحقيقي.»

«وزوجك؟»

«انني اعامله كصديق. انا متفقان من الناحية العملية. فهو يهتم باعمالي وانا ابادله هذا الاهتمام. ارجو الاّ اكون قد صدمتك.»

«كلا. لكنني استغرب هذا الامر. تعتبرين نفسك عاطفية، اما انا فاراك واقعية.»

«انك انت العاطفية، يا ستاسي. الرجل الوحيد الذي احببته بالفعل كان متزوجاً، وكانت علاقتنا قصيرة جدا. هو عاد الى زوجته وانا تابعت مهنتي، ثم تزوجت عن مصلحة ومحبة صادقة. لكن انت يا ستاسي صبية وبريئة ايضا. احببت من اعماق قلبك. لكن تجربتك كانت قصيرة جدا. وينبغي ان تعرفي ان الحب من دون العلاقة الحميمة والعلاقة الحميمة من دون حب لايمكن ان يحققا زواجا حقيقيا.»

خيم صمت قطعه دوي المحركات وهدير المياه.

قالت السيدة فانتيريس في لطف.

«مايكل واقع في غرامك. فهل تحبينه؟»

«كلا، بل احترمه جدا.»

«لست في حاجة لأن اقول لك ان هذا لايكفي. يجب ان يكون هناك انجذاب جسدي وانسجام نفسي يجعلان الشخصين متحدين.»

حاولت ان اتذكر ما الذي كان يجمعنا انا واليكسيس. لقد كنا اكثر من شابين سعيدين. لماذا تغيرت... ومن غيرني؟

اخذت ارتجف من دون وعي ثم قلت

«يجب ان تنضم الى الآخرين.»

وضعت السيدة فانتيريس يدها على ذراعي وقالت:

«الحياة لاتزال امامك، يا ستاسي. لاترتكبي الخطأ الذي ارتكبته انا في حياتي.»

ترددت ثم قلت:

«هل الرجل الذي احببته كان والد مايك؟ وهل احببته كثيرا؟»

وفي صوت حزين اجابت نعم ثم مدت الي يدها، فساعدتها على النهوض ومضينا

٧ ـ لحظة لاتنسى!

مرات عديدة فكرت بالحديث الذي دار بيني وبين ماريا فانتيريس. طلبت مني ان اناديها بأسمها الاول، لأننا اصبحنا صديقتين.

ما زال امامنا يومان قبل الوصول الى رودس، حيث تنضم ليدا الينا. وبعدها سنعود عن طريق الشاطىء التركي. وفي طريقنا توقفنا في جزيرة لم اسمع بها من قبل هي جزيرة كوسيانيه. انها صخرية غير مسكونة، لكنها مشهورة بمغارتها الكائنة تحت الماء.

قال الدكتور سيكيليانوس وهو يضحك:

«نجد في هذه الجزيرة السرطان البحري. كما نجد الكثيرين من صيادي السمك. واذا كنا محظوظين سنجد صياداً في امكانه ان يصطحبنا الى المغارة. فالزورق الكبير لايمكنه ان يمر من بين القباب المختلفة. يجب ان نتمدد لكي نستطيع دخول المغارة. وهذا ما يحصل في المغارة الزرقاء، في كابري. هل تعرفينها؟»

«كلا.»

«ليس هذا مهماً. ان مغارة كوسيانيه هي اجمل واروع من مغارة كابري. لن تنسيها ابداً.»

وكوسيانيه مكان مهجور، لكنه رائع. الصخور تنبثق من البحر الازرق، تحت شمس ذهبية. لا اثر لأي انسان فيها.

قال فاريلي:

«انها احدى الجزر الجافة. وما من احد يمكنه أن يعيش هنا، بسبب عدم وجود المياه الحلوة.»

ثم اشار الى ثلاث عنزات ظهرت على نتوء من الصخور، فوق رؤوسنا.

«هذه العنزات الثلاث ما زالت حية. لكنها ملك احد الصيادين، من دون شك.»

قالت ماريا بعدما رأت صياداً يقدم خدماته لنا:

«لايمكنني ان ابقى متمددة في هذا الزورق الصغير.»

فقال فازيلي:

«وانا كذلك. هذه المغارة مخصصة للشباب، ومن بينهم الطبيب ديمتري.»

ربت على كتف الطبيب في سخرية وقال:

«ماريا، انت وانا، سنصعد في هدوء من هذه الطريق الضيقة ونتأمل المنظر الرائع ثم نعود لانتظار المستكشفين الجريئين.»

نيكوس المتحمس كان متلهفاً للصعود الى الزورق الصغير. هناك مكانان فقط داخل الزورق. فانقسمنا الى فريقين. قالت لي هرميون:

«اذهبي بادىء الامر مع نيكوس الذي يبدو نافذ الصبر.»

ترددت. امسكت بيد نيكوس وقلت:

«والآن اجلس هنا وكن عاقلاً.»

ساعدنا الصياد في الهبوط الى الزورق ثم وجه الى الفريق الآخر كلاماً باللغة اليونانية. فشاهدت نظرة هرميون الخاطفة الى بول. ثم اخذ فازيلي ذراع ابنه ودفعه الى الامام وقال:

«اذهب مع ستاسي. الرجل يقول إن هناك مكاناً لأنسان آخر. هرميون وعمها سيذهبان في الجولة الثانية.»

نظرت هرميون الى بول في حزن وهو يهبط في الزورق الصغير ويجلس بيني وبين نيكوس. كانت تتمنى أن تقوم بالجولة معه.

وجه الصياد الزورق نحو ظل الصخور وفي سرعة اصبحنا في الداخل، بعيدين عن نظر الآخرين. قطعنا اول قبة طبيعية مؤلفة من صخرة مستندة الى الشاطىء الصخري، ثم اجزنا قبة اخرى اوسع كانت تضيق كلما تقدمنا. اقتربنا من حائط صخري، ثم لمحنا فتحة بين الصخرة وسطح الماء. بدا لي مستحيلاً مرور هذا الزورق من هذا الثقب. لكن الصياد امرنا بالركوع واذا امكن التمدد.

فقال بول:

«كوني حذرة.»

انحنيت جاذبة نيكوس نحوي. كان وجهه يعكس نوعاً من التخوف أمام هذه المناورات المختلفة.

قال الصياد:

«نعم. نعم.»

انحنى بول فوقي وكذلك رأيت الصياد ينحني. ودخل الزورق في العتمة واجتاحني اغرب شعور في حياتي. طرف الزورق يمس الصخر بينما كنا نتقدم ببطء تدفعنا يدي الصياد.

سمعت لهاث نيكوس بينما كانت يداه تضغطان على يدي بشدة.

قال بول:

«تمسك جيدا يا نيكوس. امامنا فقط دقائق معدودة.»

وفي الوقت نفسه شعرت بين يد بول تبحث عن يدي. فقال:

«هل انت على مايرام، يا ستاسي؟»

«نعم.»

فجأة وصلنا الى مغارة زرقاء لامعة. المكان كان رائعا. لم اكن ارى الطرف الآخر للمغارة. السقف مرتفع جدا على شكل قبة، والرواسب الكلسية المتحجرة تتدلى مثل النحوت القوطية. ولون المغارة الغريب والرائع يتغير ويصبح نافقاً وقوياً. اخرج الصياد مجدافاً وحرك سطح الماء، مغيرا لون المكان الذي ينعكس

على الصخرة [illegible] قصيرة [illegible] اللون [illegible]زرق، وحلت مكانه الالوان الوردية والصفراء والبنفسجية. وما ان هدأت المياه، حتى عاد اللون الازرق الى الظهور ليملأ المغارة.

حان وقت العودة والمرور تحت الصخرة. ومرة ثانية تمددنا في قعر الزورق، وبعد لحظات قليلة كنا في الخارج قاطعين القبة الاولى.

سأل بول ونحن نتجه نحو المرفأ:

«ما رأيك؟»

«انها رائعة. جميلة جدا. اليس كذلك يا نيكوس؟»

هز رأسه اذ كان جامداً ومسحوراً. وما ان وصل الى الارض الصلبة حتى استعاد وعيه واخبرنا في ابتهاج الاشياء الرائعة التي شاهدها. وجاء دور الدكتور سيكيليانوس وهرميون، فشاهدناهما يذهبان. واذ بماريا وفازيلي يهبطان بهدوء سالكين طريقا صغيرة تؤدي بهما الى المرفأ. استرخت ماريا على الجدار الصغير الذي يحيط بالمرفأ وقالت متنهدة:

«يا لها من حرارة قوية! اني اموت تعبا برغم انى لم امش الا القليل.»

رفعت ذراعها واشارت الى مكان في منتصف الطريق، ثم اضافت تقول:

«من هناك، المنظر رائع للغاية.»

ابتسم فازيلي وقال:

«كنا نحتاج الى بغل لينقلنا الى فوق.»

هزت ماريا رأسها وقالت:

«يا لهذه الحيوانات المسكينة! كيف في امكانها أن تتحمل وزني الثقيل؟ لكن يجب ان تصعدي الى هناك، الى فوق، يا ستاسي. وسترين الجزر العديدة المنثورة وكأنها حجارة كريمة.»

وقبل ان يتسنى لي الوقت للكلام، قال بول:

«سنذهب الى فوق، اليس كذلك، يا ستاسي.»

عدت خطوة الى الوراء، وقلت:

«لا اعرف... ان الطقس حار جداً و نيكوس متعب للغاية.»

حولت نظري والتقت عيناي بعيني فازيلي. كان يحمل مظلة سوداء فوق رأسه ورأس ماريا . فقال:

«نعم، يجب ان تصعدي وتتأملي المنظر الجميل من فوق. خذي هذه المظلة لتحمي رأسك من الشمس. ماريا وانا سنعود الى اليخت ونصطحب نيكوس معنا. وسنرسل الزورق ليأخذكم جميعا، انتِ و ديميتري وهرميون.»

«لكن... الا يمكننا ان نعود معكما الآن؟ اني عطشانة كثيرا.»

احنى فازيلي رأسه بوقار وقال:

«من الافضل لو ننتظر هرميون وعمها. وافضل أن اصطحب ماريا الآن في الحال. هذا الحر لا يطاق. هنا، في هذه السلة، تجدان ما يكفي لارواء ظمأكما. بول، اهتم جيدا بستاسي.»

قال نيكوس:

«وانا اريد ان اشرب الآن.»

«هنا في السلة، الليموناضة، والماء المعدنية وبعض السندويشات...»

لم نكن نشعر بالجوع لكننا رحبنا بالليموناضة التي قدمها بول لكل منا.

قال فازيلي وهو يرى الزورق الذي سينقلهم الى اليخت

«ها هو الزورق. تعال يا نيكوس، سنستقل الزورق الذي سيأخذنا الى اليخت وأمك ستقوم بجولة قصيرة مع بول الى قمة الصخرة ثم توافينا الى اليخت.»

التفت نيكوس نحوي وقال:

«الن تأتي معي، يا امي؟»

«ليس الآن. ولن اتغيب كثيرا. اذهب مع جدك و ماريا. سأعود لتناول الغداء معك.»

اضافت ماريا شيئاً ما، فابتسم وامسك بيدها.

نظرت الى الزورق يبتعد بالبحر البراق، نحو اليخت. كنت مذهولة، لكني كنت اشعر باحساس غريب. هل هو الشعور بالفرح؟

وعندما التفت الى الوراء، كان بول واقفاً بقربي يحدق بي من خلال نظارتيه السوداوين. فقال بلطف:

«حسنا.»

ولما لم اقل شيئا، اضاف:

«لدينا فرصة للتحدث قليلاً. لقد تحاشيت لقائي في الايام الاخيرة. اليس كذلك؟»

«ليس هناك شيء نتحدث عنه. سبق واطلعتك على افكاري. ولم يتغير شيء، سوى انني قررت نهائياً مغادرة الجزيرة مع نيكوس.»

«هل تحدثت في هذا الامر مع والدي؟»

«رفض سماعي. قال إن علي انتظار نهاية الرحلة.»

«هل تريدين الذهاب للتخلص مني، او للهرب من نفسك؟»

«ربما لأهرب من نفسي.»

امسك ذقني وادار وجهي، مجبراً اياي على ان انظر اليه وجها لوجه. اكتشفت تعبير عينيه. قال:

«هل تخافين حبي؟ هل تخشين أن تعيشي تجربة ثانية، تجربة سعيدة؟ هل تخافين الاستسلام لهذا العالم الجميل، عالم الحب؟»

اخذت اهز رأسي محاولة التخلص من قبضته.

«اعرف، اني ابدو محدودة التفكير وتافهة، لكنني احببت الكسيس، وكانت اجمل تجربة في حياتي. ولا أريد شيئاً اخر.»

«الكسيس مات. ولست في حاجة لأن تكتفي بذكراه. لم يكن ينتظر هذا منك. كان يحب الحياة كثيراً.»

بقيت لحظة ساكتة، وتذكرت الكسيس، وبهجته وفرحه وحيويته. والسعادة

التي عشناها معاً. ان بول على حق. ولو تسنى له أن يكلمني قبل أن يموت بلحظة، لكان قال لي: ابدأي حياة جديدة، يا ستاسي. ولكن هل أستطيع تحقيق ذلك؟

وببطء فتح المظلة ووضعها فوق رأسي وقال:

«هيا بنا لنصعد الى قمة الصخرة. وفي منتصف الطريق نرتاح ونتأمل المنظر ونتحدث قليلاً.»

بدأنا بالصعود، أخذين طريقاً متعرجة وصخرية، لا ظل فيها. مشينا الواحد وراء الآخر. اغلق بول المظلة واستعملها كعكاز.

وصلنا الى المكان الذي توقفت فيه ماريا وفازيلي. فقال لي بول:

«والآن سنرتاح هنا؟»

«كلا. لنتابع.»

لم اكن قادرة على الصعود اكثر، لكنني كنت اتحاشى الحديث الذي سيدور بيننا، وفضلت أن اقوم بجهد كبير لأتسلق الصخرة بدل ان اواجه الحيرة مرة اخرى.

تابعنا الطريق التي صار عبورها سهلاً. لكني أنتبهت الى اننا نهبط في الجهة الثانية للصخرة. فقال بول:

«من هنا، يمكننا ان نتأمل المناظر الرائعة ونستريح قليلاً.»

البحر اللانهائي يحيط بنا من جميع الجهات. ولون المياه يتغير بتغير عمقها، من الاخضر الفاتح، الى الاخضر الغامق، الى الازرق، الى الكحلي والنيلي. وسطح الماء يتموج قليلاً بفعل رياح خفيفة. الجزر تبدو فضية من بعيد وفوقنا، كنا نرى بقعة بيضاء، انه اليخت.

تنهدت عميقاً:

«آه!»

ابتسم بول وقال:

«ليست هناك كلمة واحدة تستطيع ان تعبر عن شعور كهذا. هذه هي اليونان، اليونان القديمة. وهذا البحر، وهذه السماء، وهذا النور اصغي، يا ستاسي.»

أصغيت، لكني لم اسمع اي صوت إلاّ صوت الريح. قلت:

«لكن، لا اسمع شيئاً.»

ابتسم ووضع يده في يدي وقال:

«أليس هذا رائعاً؟»

واسترخيت في الحال. زال قلقي وخوفي وتوتري. في هذا المكان الهادئ، الساحر، كنا جامدين، واقفين، يده في يدي، نحدق من أعلى الجبل الى العالم الذي يحيط بنا.

ولم ينطق بول بأي كلمة، لمدة طويلة. اخيرا قال:

«لنجلس قليلاً.»

جلسنا واسندت ظهري الى الصخر الساخن، والمظلة المفتوحة تحمينا من الشمس.

«هنا، يمكن أن يحدث أي شيء، انني اشعر برغبة في القفز والتحليق فوق البحر، وبأني قادر على تحقيق ذلك.»

التفت الي ووضع ذراعه تحت رقبتي ووجهه قرب وجهي وقال:

«نعم، كل شيء ممكن، حتى ان تنسي الكسيس وان تحبيني كما احبك.»

وفي بطء ونعومة انحنى رأسه وعانقني.

كان عناقه طويلاً. شعرت بالانفعال نفسه كالمرة الاولى وكدت افقد وعيي. صرت ارتجف. فابتعد بول قليلاً عني وهمس قائلاً:

«لاتخافي مني. لن استعجل الامر حتى ولو كنت اريدك. هنا قريباً من السماء، وبعيداً عن كل شيء...»

رفع رأسه ونظر الي، من دون نظارتيه، بعينيه القاتمتين، وبتعبير لم يسبق لي ان رأيت مثله من قبل.

«انت الاجمل»

ثم راح يداعب وجهي ويقول:

«اريد ان اراك وشعرك منسدل، كأنه يسيل مثل خيوط الحرير السائل، على كتفيك. هل تسمحين لي أن افك كعكتك؟»

«ارجوك، يا بول. لا. لايمكننا أن نبقى هنا. ان الآخرين في انتظارنا.»

«هل نحن مضطران لذلك؟»

أبعد يدي التي مددتها كي أبعده عني وقال:

«أمل أن تكوني لي، لوحدي، في عالم، لاوجود للوقت فيه. وحيث لايمكننا ان نهتم، لا بالساعات والمواعيد ولا بالناس.»

ساعدني على الوقوف وبدأنا بالنزول. كان بول يمشي أمامي ممسكاً بيدي لكن فجأة، افلت يده مني، ففقدت توازني. قال وهو يمسكني بخصري كي لا اقع:

«هل تشعرين بألم؟»

فنفضت الغبار عن سروالي وقلت:

«لا لكن جلدة حذائي انقطعت.»

وكلما مشيت، كان الحذاء يفلت. حاولت المشي من دونه، لكن الصخور كانت قاسية وناتئة. انتعلت الحذاء من جديد وتدبرت امري.

قلت:

«لقد اضعنا وقتاً كبيراً.»

اجاب بول:

«لا احد ينتظرنا.»

«لا احد؟ لكن الدكتور سيكيليانوس وهرميون عادا ولا شك من المغارة.»

«انظري. ليس هناك احد. ولا زورق ولا شيء.»

نظر الى الساعة وقال:

«إنها الثانية الا ربعا. لا شك ان الزورق أخذ الدكتور سيكيليانوس وهرميون وسيعود ليأخذنا.»

كانت الشمس اللاهبة تبهرنا. فوضعت يدي فوق جبيني ورحت انظر الى البحر.

«أين اليخت؟ لم اعد اراه.»

اشار بول قائلا:

«هناك، بعيداً. شيء ما يشبه اليخت، وراء قوارب الصيد.»

حدقت في المساحة الزرقاء وقلت:

«لا. لا يمكن ان يكون اليخت هناك.»

«لا. لا اقصد هذه الباخرة الكبيرة. اني اشير الى هذه النقطة البيضاء الصغيرة، الى اليمين. لكن ماذا يفعل اليخت هناك؟ ولماذا تركونا هنا؟»

«لايمكنهم ان ينسونا بهذه السهولة. يعرف فازيلي تماماً اننا هنا. فقد ارغمنا على الصعود الى هناك.»

«آه، سيعودون في اليخت. لكن لماذا؟ ربما والدي اعتقد اننا نريد ان نمضي وقتنا اطول هنا؟»

«ما كان يجب ان نبقى طويلاً.»

امسك بول بيدي وقال:

«هل هذا مهم جدا. سنبقى هنا، بعض الوقت. وانا سعيد بأن تكوني معي.»

«شرط الأ يقلق نيكوس علي.»

«لا. فازيلي، ماريا، هرميون، الجميع سيسلونه. لقد سبق وتركته لوحده عندما خرجت مع مايك هاردينغ.»

«هذا امر مختلف.»

«لا اعتقد. او لأنك تفضلين ان تبقين وحدك مع مايك.»

«قلت لك، ان هذا مختلف. كان كل شيء متفقاً عليه مسبقاً ونيكوس كان يعرف

أني خارجة لقضاء طيلة النهار خارج الفيللا.»

ابتسم بول بحزن ورفع يده نحو الافق وقال:

«سيفهم. لم اعد ارى اليخت. حتى ولو عاد الآن، فسننتظره طيلة بعد الظهر كي يصل الى هنا.»

«لكن، لا يمكننا ان نبقى هنا.»

هز بول رأسه:

«اعتقد اننا سنضطر الى البقاء هنا. ماذا تريدين ان تفعل الآن؟ هل انت جائعة؟ تفضلين ان نأكل الآن، او نسبح. تعالى نبحث عن زاوية في الظل.»

«لا يهمني ما يمكن ان نفعله، لكنني اشعر بالحر الشديد.»

«اذن هيا نسبح. سأحمل الطعام الى فوق، وفي هذا الوقت، ترتدين بذلة السباحة.»

شاهدته يتسلق الصخر، فخلعت سروال الجينز وارتديت بذلة السباحة قبل ان اخلع قميصي. ليس هناك شاطىء، فالصخور تنحدر في البحر. وببطء انزلقت على الطحلب الاخضر. فناداني بول وكان يرتدي المايوه وشعره يلمع تحت الشمس.

«انتبهي، هذه الصخور خطرة. لاتغطسي.»

انزلقت على الصخور الى ان وصلت الى المياه العميقة ولحق بي بول وسبحنا معا في الخليج.

الماء فاتر قرب الصخور، وكلما ابتعدنا عنها اصبحت باردة. كنت أود الاّ اعود الى الارض الصلبة.

تعبنا فقررنا العودة الى الصخرة حيث كانت المناشف في انتظارنا.

«ان الماء لشيء رائع حقا.»

لكن عينيه كانتا تحدقان بخصلات شعري النارية التي تنسدل كالشلال على كتفي.

«انك تشبهين حورية البحر، ايتها المرأة الفاتنة.»

«صحيح؟»

شعرت بالارتباك امام نظراته الوقحة. كنا وحيدين في هذه الجزيرة.

«لا شك انك جائعة بعد هذه السباحة الطويلة؟»

«قليلا.»

«انا جائع. هيا نأكل.»

تصعدنا الى قمة الصخرة وبدأت مايوهاتنا تجف في هذا الحر الشديد.

فتح بول سلة الطعام. كان فيها فاكهة البطيخ الاصفر، مقطعة قطعا صغيرة، ولحم بارد وخبز طازج وسلطة بالفلفل الاخضر، وبيض مسلوق وبعض الحلوى والفاكهة. شربنا عصير الليموناضة المثلجة.

وبعد ان انتهينا من الطعام قال بول:

«والآن، لنأخذ استراحة وننام.»

وضع قميصه القطني تحت رأسي وقال:

«هل انت مرتاحة هكذا؟»

كنت متعبة غير قادرة على النطق. تمدد ووضع يديه تحت رقبته وقال:

«عندما تستيقظين، يكون اليخت قد عاد.»

«آمل ذلك.»

وعندما استيقظت كان بول واقفا مستندا الى حافة صخرة، وجهه نحو البحر.

جلست وسألته:

«هل ترى اليخت؟»

«كلا.»

فانتفضت واقفة وقلت:

«انها الساعة الخامسة. يجب ان يأتوا للبحث عنا.»

«لا تضطربي. لدينا متسع من الوقت. ما زال ضوء النهار ساطعا.»

«لكن لنفترض انهم لم يعودوا. ولنفترض اننا سنمضي الليل هنا.»

ابتسم في سخرية وقال:

«واذا افترضنا ذلك فماذا يحصل؟»

«آه، ارجوك. لاتمزح معي!»

نظرت الى المحيط وقلت:

«أهذا هو اليخت هناك بعيداً؟»

هزّ رأسه واجاب:

«كلا. انها سفينة اخرى.»

امسك بيدي وجذبني نحوه.

«هل انت قلقة على نيكوس.. او علينا نحن؟»

«نحن!»

كان وجهه قريباً جداً من وجهي. ولم اكن قادرة على تحويل نظري. شيء في داخلي يقول لي بأني اريد بول وسأستسلم له. لكنني تمالكت نفسي وقلت:

«لا. هذا امر مخالف. لأننا...»

فاقترب مني وشدني بقوة نحوه. فقلت:

«ماذا تريد؟ .لا. لا يمكنك...»

«لكن، بلى. ياحبيبتي. الآن وهنا.»

بدأت ركبتاي ترتجفان. شعرت بقوة خارقة تجذبني لااستطيع مقاومتها. ولاستغرابي، انتصب بول وقال:

«من الافضل أن نعود الى المرفأ. الهواء منعش هنا.»

ومن دون ان ارد عليه، جمعت اغراضي وتبعته وهو يهبط في الطريق المتعرجة.

سألني وهو يحمل السلة:

«هل تريدين ان تشربي شيئاً؟»

«كلا. شكراً.»

الجو كان لطيفاً. وكنت ما ازال ارتدي بدلة السباحة وقميصي المقلم فوقها.

والشمس تلقي اشعتها الذهبية وهي تغيب

«سأسبح مرّة أخيرة. لكن.. لكن..»

ترددت وانا احدق في البحر افتش عن اليخت. فقال بول:

«لم يظهر اليخت بعد. سيحل الظلام قبل ان يصل.»

«هذا اذا وصل»

هزّ كتفيه وقال:

«سيأتي. لكن ذلك يحتاج الى بعض الوقت.»

«اذن. لنسبح قليلاً. ثم نرتدي ملابسنا وننتظر»

رحنا نعوم في المياه الشفافة. اشار بول الى مكان في يده وقال:

«وما رأيك لو نذهب الى المغارة؟»

«اليس المكان بعيداً؟ يمكن ان يصل اليخت في هذا الوقت.»

«سبق وقلت لك، انه لن يصل قبل ساعات والمغارة قريبة من هنا.»

«لكن، لا أريد ان اسبح تحت الصخور.»

قهقه وقال:

«لن ارغمك على ذلك. سنسبح تحت القبب ونستريح على الصخرة قبل ان نعود. هذا يجعلنا نستهلك الوقت بدل الانتظار.»

«حسناً. اذا كنت متأكداً من اني قادرة على ذلك...»

«هيا بنا. وخذي وقتك. سأساعدك.»

كان بول على حق. لم يكن المكان بعيداً والمياه كانت منعشة. فلم اشعر بالتعب ابداً. قطعنا القبة الاولى: ثم الثانية.

«سأكتفي بالبقاء هنا.»

ثم تسلقت الصخرة المجاورة. جاء بول وقعد بقربي، وبعدما داعب خدي، رفع شعري عن كتفي وقال:

«ان شعرك كالحرير. لم ار مثله من قبل بهذا الجمال.»

الحر الشديد ولى. لكن اشعة الشمس ما زالت تدق، جسمينا جفت مايوهاتنا بسرعة. هنا لايمكن ان يرانا احد. وفوقنا تعكس القبة ظلالا زرقاء في البحر الذهبي.

لم يكف بول عن ملامستي بنعومة. ولمدة طويلة، كنا ننظر الى بعضنا ثم مد ذراعه تحت عنقي وشدني نحوه وقال:

«ياحبي، اني احبك. لاتخافي مني، ولا من نفسك. هذه اللحظة لاتنسى».

ثم عانقني ولفتنا الامواج.

رحت اتخبط للتخلص منه. فهمس يقول:

«استرخي ياحبيبتي».

فقدت وعيي وتركت الامواج تصطحبني في حركتها. شعرت بنفسي اتأرجح واهتز كأن شيئا يتقاذفني. الى ان فقدت وعيي. ثم، وجدت نفسي قرب بول، اعوم على سطح الماء.

استقبلنا ساحل قاحل وهادىء. كنا متعبين، ممددين، ذراع كل منا في ذراع الآخر، بينما كانت الشمس تغيب تدريجيا وراء الافق الرائع.

٨ ـ الكلمات وحدها لاتكفي

استيقظت من حلم لم يسبق لي ان عشت مثله. ولا حتى مع الكسيس. مع بول كل شيء، كان دافئاً وناعماً.

مع بول، انها النشوة، لحظة الذوبان الكامل. شعرت ببول يمسك بيدي ويضعها على فمه ويقول:

«احبك، يا حبيبتي. اكثر مما كنت اتصور. هل تسامحينني؟ لقد تغلبت عليك كي انقذك».

قلت وانا اداعب خده؟

«اعرف. وانا احبك يا بول. لقد حررتني من كل الضغوط».

«هل تتزوجينني؟ ماذا ننتظر؟»

ابتسم وهو ينظر اليّ في حنان، ثم اضاف:

«ابي سيفرح بنا كثيراً».

اجتاحتني ارتعاشة وقلت:

«والدك؟ لكن... لكنه يريدك ان تتزوج من ليدا. بول، ليدا... ستصاب بصدمة عنيفة».

تردد لحظة قبل ان يقول:

«لا اظن ذلك. لست متأكدا. كنا صديقين منذ الطفولة. ليدا فتاة متفهمة.

ساحدثها قبل أي انسان آخر»

«قبل والدك؟ ارجوك، حدثها قبل اي انسان آخر.»

«كما تريدين. سنصل الى رودس غدا او بعده. وسأفاتح ليدا بالامر، وبعدها نخبر الجميع. انت جميلة جدا ومشعة...»

«آه، يا بول.»

«سيصل اليخت قريباً وعلينا ان نسبح حتى المرفأ.»

ساعدني على النهوض. رحت احدق في المحيط واقول:

«اليس هذا هو اليخت، هناك، قرب الجزيرة؟»

«نعم. ان الحضارة تعود الينا.»

ارتدينا ملابسنا في عجلة وجلسنا على حافة الصخرة، جنبا الى جنب، ورحنا نتأمل اليخت الذي يقترب نحونا، ونتداول احاديث العشاق. فسألته:

«هل عشت تجربة الحب من قبل؟»

«لم اقع في الغرام حتى الآن. صدقيني، يا ستاسي، ان ما اقوله صحيح. ما اشعر به الآن يؤكد لي ذلك. لكن انت أحببت الكسيس. اني اغار لاني كنت أفضل لو لم تكوني ملك أحد غيري. هل في امكاني ان اطلب منك ان تنسيه؟ أريدك ان تحبيني اكثر.»

التفت نحوه وقلت:

«ساحبك دائماً.»

رفع خصلات شعري عن جبيني. فقد هبت ريح خفيفة.

«ولن ترى صورته في وجهي.»

«انت.. انت.. سأتذكر الكسيس دائماً لأننا احببنا بعضنا وكنا سعيدين جدا.»

رأيت بول يرفع حاجبيه. فقلت بسرعة:

«لكن كل هذه الاحاسيس هي ملك الماضي. ليست سوى حلم. شيء حصل لي

عندما كنت صغيرة.»

لان وجهه وقال مازحا:

«هل تعتبرين انك كبرت جدا؟»

«لقد تغيرت.»

«انت امرأة، يا ستاسي. اجمل واعظم امرأة. لن انسى ابدا هذا اليوم. حبك شيء رائع ولغز...»

استمر الحديث بيننا على هذا المنوال. ورحنا نكتشف بعضنا البعض. نتبادل الاراء والافكار. ثم لوح بول بيده وقال:

«انظري الزورق في طريقه الينا.»

شدني بكل قواه نحوه وقال:

«لن اطيق ان اتقاسمك مع الغير. ولن يكون سهلاً ان اكون في قربك واتصرف كما لو اننا لم نكن صديقين حبيبين. بينما اريدك بقربي. من اجلي فقط. من اجل ان احبك.»

وبعد قليل، اصبحنا على متن اليخت. كان فازيلي في انتظارنا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة.

«ارجو أن تسامحاني لاني ذهبت من دونكما. فقد حصل سوء تفاهم. الطبيب اعتقد انكما على متن اليخت، بينما كنتما ما تزالان في قمة الصخرة. ولما لم تكونا على مائدة الغداء، كنا قد اصبحنا في عرض البحر متجهين نحو جزيرة صغيرة أراد أن يزورها ديمتري. وفكرت بأنكما لن تندما اذا ما امضيتما النهار كله في جزيرة كوسيانيه.

كان ينظر اليّ في عينين ناقمتين. وللحظة اعتقدت ان في امكانه قراءة ما يجول في افكاري، وانه يعرف تماماً ما دار بيني وبين بول. فاحمرت وجنتاي خجلا. وارتبكت، ثم قلت:

«نعم.. كانت الجزيرة ذات اهمية كبيرة. لكن الطقس كان شديد الحر.»

«لا شك انكما عثرتما على مكان في الظل كما تركتما سلة المأكولات. فلم ينقصكما شيء. اليس هذا صحيحا يا بول؟»

«نعم يا ابي. لكن ستاسي كانت قلقة جداً على نيكوس.»

قطب فازيلي حاجبيه وقال:

«ولأي سبب؟ كان سعيداً ونحن نهتم به كما يجب. والآن اذهبي يا ستاسي. ربما انت في حاجة الى تغيير ملابسك والاغتسال قبل العشاء.»

نزلنا بسرعة الى الغرفة وبول يمسك بيدي ويضغط على اصابعي.

«سنتحدث بعد العشاء، ولا شك اننا سنجد الفرصة لنكون وحدنا. ها هي ماريا مرحبا.»

اغلقت ماريا باب غرفتي وراءها وقالت:

«بذلت جهدي كي أسلي ابنك. لكنه كان ينتظر عودة والدته. كان حزيناً جداً. لم يفهم السبب الذي أجبرك على البقاء في جزيرة كوسيانيه. حدث سوء تفاهم. كما يقول فازيلي.»

خلال العشاء، ما من أحد لاحظ صمتي. الدكتور سيكيلياتوس يتحدث عن اكتشافاته والصور التي التقطها. كان نظري يشتبك احيانا بنظر بول. كنت شديدة التعب... وفضلت قبل كل شيء الذهاب الى النوم. فالوقت متأخر. لاحظ فازيلي ذلك فقال:

«ستاسي متعبة من دون شك. كان النهار قاسياً. اننا نفهم انك تودين الانسحاب الى غرفتك باكراً، ياعزيزتي.»

«شكراً.»

كنا جالسين على سطح السفينة، تحت سماء مشعة بالنجوم. والهواء كان منعشاً. وقفت واعتذرت وتمنيت ليلة سعيدة للجميع. نهض بول في الوقت نفسه وقال:

«سارافقك يا ستاسي. هناك شيء أريد ان أخذه من غرفتي.»

تبعنا فازيلي بنظراته الحادة. كان بول قد امسك يدي وقال:

«حبيبتي، هذا العشاء كان طويلاً. وكنت افضل ان اكون وحيداً معك!»

«وانا كذلك. لكن يجب أن نحتفظ بالسر، خلال الايام القليلة القادمة، الى ان تكون قد اطلعت ليدا على الامر.»

كنا قد وصلنا الى غرفتي. جذبني بول الى ذراعيه وعانقني في شدة وانا عانقته بدوري في انفعال واستسلام تام. ثم تحررت من عناقه وقلت لاهثة:

«يجب أن اذهب الآن يا بول. قد يسمعنا نيكوس.»

وضع يده على خدي وقال:

«نامي جيداً واحلمي بي، ياحبيبتي.»

«افكر دائما فيك وسأحلم بك.»

قبل يدي وقال:

«تصبحين على خير ياحبيبتي.»

«تصبح على خير يا بول العزيز.»

اغلقت الباب بهدوء وسمعت نيكوس يتحرك. ثم فتح عينيه الناعستين وقال:

«امي؟»

«نعم ياحبيبي. انا الماما.»

رفعت شعره عن جبينه وانحنيت لأطبع قبلة على جبينه وقلت:

«انا هنا، نم ياحبيبي.»

اغمض عينيه بهدوء وغرق في سبات عميق.

في اليوم التالي، لم يفارقني لحظة ورفض نهائيا الابتعاد عني. احب بول واريد ان ابقى وحدي معه. لكن نيكوس هو الاهم في الوقت الحاضر.

وصلنا في اليوم التالي الى رودوس في الساعات الاولى من النهار. الشمس كانت ساطعة والسماء زرقاء كالعادة. كان الحر قوياً والهواء خانقاً. اقتربنا من جزر دوديكانيس، ثم انعطفنا الى جهة الشرق، نحو سواحل تركيا.

لاحظت ماريا التغير الذي حدث لي فقالت:
«تبدين في احسن حالاتك. بالامس كنت شديدة التعب، واليوم، انت .. انت متألقة.»
«نمت نوماً عميقاً.»
كنا نسبح، نيكوس وانا، عندما لحق بنا بول فقال هامسا:
«حوالى العاشرة من هذا المساء، سنلتقي على سطح اليخت، قرب الزورق. اريد ان امضي بعض الوقت معك.»
«سانتظرك هناك. نيكوس، ها انذا هنا. تعلق بي.»
«ساخذه عنك قليلاً. تعال. اصعد الى ظهري. سنلعب لعبة حصان البحر، وانت تقودني.»
ووسط أصوات الفرح، صعد نيكوس على كتفي بول وتعلق برقبته بقيت ورائهما. فناداني نيكوس:
«تعالي أنت ايضا يا امي.»
وبعد الغداء، توجه كل منا لأخذ قسط من الراحة. وفي المساء، بينما كان نيكوس نائما، تناولنا العشاء كالعادة واحتسينا القهوة مغلفين بسحر الليل وطراوة الجو.
ماريا والدكتور سيكيليانوس وهرميون نزلوا الى قاعة الاستقبال ليلعبوا البريدج ولما حان موعدي مع بول، تركتهم وصعدت الى سطح اليخت. انتظرت عشر دقائق. لكنه لم يحضر. انتظرته وانا اتأمل الاضواء الساطعة على الجزيرة. فجأة انتفضت لدى سماعي صوتا قريبا مني. فقلت:
«بول؟»
لمع بريق احمر في العتمة. كان صوت فازيلي وهو يقول:
«هذا انا. هل تنتظرين بول؟»
«اني... لست متأكدة. قال... انه ربما جاء الى هنا.»

اقترب فازيلي مني واشار برأسه قائلا:
«لقد تأخر. تسلمنا رسالة بواسطة الراديو. انه منهمك الآن في قضية صغيرة. اخشى ان يكون هذا الذي جعله يتأخر عن موعده. هل في امكاني الحلول محله والبقاء معك الى ان يعود؟»
لاشك ان فازيلي على علم بهذا الموعد. لم أكن أعرف ما أقوله. ففضلت الصمت. عيناي تحدقان في السماء المنجمة والقمر الذهبي. سحب فازيلي مجة من سيكاره والتفت نحوي وقال:
«اني احبذ هذه الصداقة بينك وبين بول. انكما تبدوان على اتفاق تام. آمل ان يكون لي ضلع في هذه العلاقة. وانا اعترف بانني لعبت دوراً على طريقتي لأفسح لكما المجال للتعرف الى بعضكما البعض مليا.»
«ماذا؟»
ابتسم وقال:
«نعم. قصدت أن اتركما وحيدين، امس، في جزيرة كوسيانيه. كنتما في حاجة الى الوقت والى الوحدة، لتعالجا.. مشاكلكما. كنت على حق، اليس كذلك؟»
حدقت فيه غاضبة، مشمئزة. مرة اخرى، كنت أداة مقرراته.
«ماذا يجري؟ هل جرحت شعورك؟ صدقيني، يا ستاسي، اني اتمنى لك كل خير، لك ولبول. اني احاول فقط مساعدتك على ايجاد السعادة التي تتمنينها.»
نفض رماد سيكاره وقال:
«بول واقع في غرامك، وانت كذلك. لايمكنك أن تخفي ذلك. ان شعلة الحب تلمع في عينيك. وانا سعيد، يا ستاسي، واتمنى ان تتزوجي من بول.»
«هذا يتعلق بليدا. لم نقرر شيئاً بعد. ما دام بول لم يحدثها في الامر بعد. انها تحبه ومن العار ان نفكر بالزواج قبل ان يفاتحها بول بالامر...»
قطب فازيلي حاجبيه وقال:
«لا، ليس هناك أي مجال لحصول زواج بين بول وليدا. منذ وقت قصير اطلعتك

على بعض الصعوبات التي تعترض حصول مثل هذا الزواج. لا اريد ان يتزوج بول من ليدا. اني اعارض هذه الفكرة بصورة نهائية ولا عودة عن قراري. لقد علمت انها غير قادرة على الانجاب...»

«يا لها من مسكينة. هل هي على علم بهذا الامر؟ هل هي التي اخبرتك بهذا؟»

هز رأسه وقال:

«انها لا تعرف شيئا. اطلعني على النبأ الدكتور سيكيليانوس. كما تعرفين، تعرضت ليدا منذ عدة أشهر الى حادث في السفينة وقد اصيبت في ظهرها، فاضطر الاطباء الى تصويرها بالاشعة. وبعد انتهاء العلاج لوحظت حالتها وعرفنا بالنبأ.»

عارضت ما يقول وقلت:

«لكن الدكتور سيكيليانوس لم يعد يمارس الطب. كما انه يفشي سرا طبيا.»

«هل نسيت أني وصي عليها، واني أول من يجب ان يعلم بكل شيء فيما يخص صحتها. كما أن ديمتري هو الطبيب الذي اهتم بها منذ اصابتها الى أن شفيت وهو يعرف جيداً ما يمكن للأشعة ان تفعل في المرأة.»

«لقد فهمت.»

«سوف تعلم حالتها، عاجلاً أم اجلاً. كما ان هناك امكانية اجراء عملية جراحية لكنها ستظل ضعيفة وعاجزة عن انجاب العديد من الاولاد.»

حدق بي في انتباه ثم قال:

«هل تفهمين أي صدى يمكن ان يحدثه هذا الزواج انها مصيبة عظيمة. ولحسن الحظ، ان بول وقع في غرامك، انت.»

قلت مدافعة عن ليدا، وعن حقوق المرأة عامة:

«لكن لنفترض انه كان يريد ان يتزوجها. اذا كانت غير قادرة على الانجاب، ففي امكانها ان تتبنى العدد الذي تريده من الاولاد. واذا كانا يتبادلان الحب ففي امكانهما ان يكونا سعيدين.»

اطلق فازيلي زفرة تعجب وقال:

«انت لا تعرفين ماذا تقولين. على الرجل ان ينجب الصبيان. وفي اليونان، لاتكمل المرأة دورها وواجبها اذا لم تنجب الاولاد. انه تقليد قديم، تقليد بلد فقير. الابن المثقف له حظ في النجاح في الحياة، وفي ان يكون له مهنة محترمة تجعله قادرا على أن يكسب الشرف والرفاهية لعائلته. اما الفتاة فانها عبء. لذلك اصبح من المألوف أن يعطى للفتاة مهر لكن، في العائلة الفقيرة، ولادة ابنة هي بمثابة بدء الصعوبات في المستقبل.»

«لكن هذا كله بدائي للغاية!»

«نحن في بلد بدائي. وحتى الناس المتحضرون ما زالوا يحتفظون بهذه القيم البدائية. وانا لا اختلف ابداً عن أي مزارع فقير. عندما أريد ان ينجب ابني البنين ليحملوا اسم عائلة كرفيليس من أجل ان يعملوا في هذه الشركة البحرية الكبيرة التي أوجدتها بنفسي. انت امرأة محظوظة. يا ستاسي، لأنك انجبت ابنا. هل تذكرين قصة تلك المرأة الرومانية القديمة التي لم تكن تلبس الحلى. بل تظهر دائماً يرافقها اولادها؟ وعندما يسألها البعض اين مجوهراتها، كانت تجيب: «هذه مجوهراتي!» وهي تدل على اولادها. ان نيكوس لؤلؤتك الثمينة، وستنجبين غيره، من بول.»

«متى عرفت بحالة ليدا؟»

«منذ شهرين. او ثلاثة. لكن هذا لا يهم.»

ثلاثة اشهر! اي في فترة تسلمي الرسالة التي دعانا فيها فازيلي لزيارة ميلابنوس اذن، اراد فازيلي ان يتعرف الى نيكوس، ليس لأنه يرغب في ذلك، بل ليتأكد ان في امكانه الاشراف على حماية حفيده الوحيد. والآن، وقع بول في غرامي وهذا يفرح الوالد. الامور اصبحت افضل بكثير مما كانت عليه في ما يختص بفازيلي!

انتابني شك رهيب. ربما هو الذي دبر وشجع ما حصل بيني وبين بول.

تذكرت عودة بول غير المنتظرة عندما ذهب الى اثينا قبل ايام قليلة. وتذكرت ايضا لقاءنا في حديقة برسفوني. ماذا لو كان فازيلي هو الذي طلب من بول اغوائي؟

لكن بول يحبني فعلا وانا احبه. وهو لا يعرف شيئا عن حالة ليدا... وعن هذه الحاجة الاساسية لانجاب وتربية الاولاد!

كنت اراقب فازيلي وهو يدخن سيكاره. هذا الرجل الذي في امكانه أن يصبح عمي، مرة ثانية. هذا المخادع المحتال! شيء مرعب حقاً. ان اكون جزءاً من مخططاته وحيله ومكائده، وان اخضع له واتحمله كل حياتي! لا يمكنني ان احتمل التفكير في ذلك. فكيف اذا مارسته. يجب التهرب منه. اني احب بول. ولكن هل احبه بما فيه الكفاية كي اضحي بحريتي؟

وكأنه قرأ ما يجول في خاطري، فاستطرد يقول:

«يبدو لي أننا اتخذنا قرارنا في ما يتعلق برحيلك او ببقائك الدائم في ميلاينوس وستسكنين معنا في فيللا مارمارا.»

ازحت نظري عنه وقلت:

«انت سريع في اتخاذ القرارات. لاشيء مؤكد حتى الآن. وهناك ليدا. كما قلت لك.»

«بول وليدا ليسا مخطوبين.»

توقفت فجأة عن الكلام، لدى سماعه خطوات تقترب على سطح الباخرة.

«اني اسف يا ستاسي لأني جعلتك تنتظرين. طرأ عليّ عمل على انجازه. اه هذا ابي. لم اكن على علم بوجودك هنا.»

ابتسم فازيلي وقال:

«جئت اعلم ستاسي بتأخرك. والآن سألتحق بالاخرين الذين ينتظرونني للعب البريدج.»

انحنى ثم قال:

«تصبحين على خير، يا عزيزتي.»

في الظلام كانت عيناه تلمعان ببرارة. وما ان اختفى عن الانظار حتى اقترب مني بول واخذني بين ذراعيه وقال:

«حبيبتي، سامحيني. لقد انتظرت طويلاً هذا اللقاء.»

عانقني في حنان وكدت استسلم له. لاشيء آخر يهم. فقد اختفى خوفي وشكوكي بتأثير عنف هذا الحب.

قال بول وهو يطبع قبلة ناعمة على عيني وعلى شعري:

«يا الهي كم احبك. لو كنا الآن في المغارة، بدلاً من ان نكون في هذا اليخت الخالي من اي مكان منعزل. عندما نتزوج، ياحبيبتي، سانتزعك من هذا العالم. سنذهب الى جزيرة. الى فيللا أحد الاصدقاء وسنكون وحيدين تماما.»

سألته في هدوء:

«ونيكوس؟ اين سيكون؟»

تردد لحظة ثم قال:

«مع والدي. او مع ماريا. ان والدي يحبه كثيراً. لكنه لن يكون معنا، ياحبيبتي، حتى ولو كنت اعتبره مثل ابني. لن يأتي معنا في شهر العسل.»

«طبعا، لكنه لن يفهم السبب. ما سبق أن تركته يمضي ليلة واحدة بعيداً عني. منذ وفاة الكسيس.»

جذبني نحوه وقال:

«يا ستاسي، ايتها المرأة المسكينة الصغيرة. لقد قضيت اياما تعيسة وقاسية. واريد ان اجعلك تنسين هذا العذاب. انت ونيكوس.»

اصبح يتكلم في جدية، اذ قال:

«ساحب نيكوس مثل ابني وسأفعل كل ما في وسعي لأن اجعله سعيداً.»

كلماته وخاصة عندما يقول ابني كانت تذكرني بليدا. ان وضعها مأساوي لن يكون في استطاعتها الانجاب. واذا كانت تحب بول، فستخسر، هو ايضا.

احسست بالذنب. لم اكن قادرة على أن ابحث مع بول في مشاريع المستقبل. و ليدا في ذاكرتي.

ابعدت بول عني وقلت:

«يجب ألا نبقى هنا طويلاً. سيبحث عنا الآخرون. ان والدك على علم بكل شيء، وهو موافق على زواجنا.»

«هل انت مستغربة؟ لا شك ان الجميع لاحظوا سعادتنا. ووالدي موافق، طبعاً.»

«وهو قال لي ذلك منذ برهة. لكني اعتقد انه يأمل هكذا في المحافظة على نيكوس في قربه.»

«حبيبتي، ليس هذا ما يريده فقط. انه يحبك انت ايضاً وهو معجب بك كثيراً. لايمكن لأحد ان يمتنع من الوقوع في حبك والاعجاب بك.»

ابتسمت وقلت:

«انت تحكم مسبقاً على الامور.»

«ربما في رأسي فكرة وهي أنك اجمل امرأة.»

«آه، يا بول!»

وضعت وجهي على كتفه لاحتمي به وقلت:

«اريد ان اجعل منك رجلا سعيداً، لكن...»

وضع خده على شعري وقال:

«ليدا؟»

«نعم... ووالدك. ان حبنا هذا جزء من مخططاته.»

امسك بول ذقني وقال:

«دعك من هذه الافكار. كان والدي يريدني أن أتزوج من ليدا.»

فتحت فمي لأقول «لم يعد يريد ذلك بعد الآن.»

لكن الكلمات لم تخرج. يجب ألا ابوح بسر ليدا ولا حتى لبول بالذات.

«ارجوك ان تعلم ليدا بالامر، معبراً بذلك عن صدقك.»

«حسناً. سأحاول أن اخبرها بالامر غدا عندما نصل الى رودوس. والآن ما رأيك في ان تذهبي الى غرفتك؟»

«سأفعل حتى وان كنت سأحزن لفراقك، يا بول.»

«اود البقاء معك في كل لحظة من النهار... ومن الليل.»

عانقني مطولا وكدت اذوب بين ذراعيه.

مرت الايام في زيارة جزيرة رودوس لم ابق في قرب بول الا لحظات معدودة. وصباح وصولنا، بعد ان تناولنا الفطور، جاءت ليدا على متن سفينة راوول، الراسية قرب سفينة فازيلي في المرفأ الكبير.

وعندما رأيت الفتاة ووجهها المضيء بابتسامة واسعة شعرت بالكآبة. وضعت يديها على كتفي بول لتقبله. ورأيته يرد بابتسامة مماثلة. ماذا افعل هنا، بين هذين الشخصين؟

كانت ليدا تشع بثوبها الابيض المخرم باليد برسوم خضراء. شعرها الطويل يغطي كتفيها ويتدلى حلق من الزمرد من اذنيها. بعدما حيت فازيلي وماريا، توجهت نحوي ووضعت خدها المنعش على خدي وقالت:

«صباح الخير يا ستاسي. تبدين في احسن حال. الرحلة اعجبتك، على ما اظن.»

«انها رائعة.»

اقترب نيكوس منا. ولمدة غير قصيرة، كانت الفتاة تحدق فيه وعلى وجهها تعبير غريب. ثم وضعت يدها على شعره وقالت:

«لوحت الشمس بشرتك، يا نيكوس. كم تبدو جميلاً!»

ابتعدت وحيانا راوول بدوره. ثم سمعت ليدا تهمس قائلة لفازيلي:

«اثيان وهيلين في انتظارنا في فندق الورد، حيث سنتناول طعام الغداء معهما.»

قال فازيلي:

«هل اشرفت على حجز السيارات لهذا الغرض؟»

«نعم. كل شيء منظم.»

للمرة الاولى لاحظت ان نظرات ليدا حزينة جداً برغم ملابسها وزينتها الرائعتين. واحسست تجاهها بشعور بالذنب. ماذا لو كانت تحب بول... بقيت معه اكبر وقت ممكن، تتحدث اليه واضعة يدها على ذراعه، ووجهها قريب جداً من وجهه، كانها تريد ان تذوب فيه.

قبل الانضمام الى هيلين واتيان، قمنا بزيارة المدينة. ثم ذهبنا الى ليندوس على الشاطىء الشرقي من الجزيرة قبل ان نعود الى اليخت لتناول طعام العشاء.

كانت هناك سيارتان. صعد فازيلي وماريا وديمتري وهرميون في احداها، وليدا وراوول وبول ونيكوس وانا في الثانية. وقمنا بزيارة المتحف الذي كان في الماضي مستشفى الفرسان واجتزنا مدينة رودوس القديمة وحيها التركي وشوارعها الصغيرة المبنية بالقناطر واسواقها الصغيرة وجوامعها وسبل الماء الرنانة والمنعشة في هذا الحر الشديد.

ثم توجهنا الى الحي الحديث، والى مرفأ مندراكي والطواحين الهوائية. ومرّ الصباح بسرعة الى ان حان اوان الانضمام الى اتيان وهيلين، في فندق الورد، حيث قدم الينا غداء لذيذ مؤلف من الواجبات المحلية الشهية والقهوة التركية.

وعندما بدأنا بالاستعداد لزيارة ليندوس، تم الاتفاق على ان يستقل بول وليدا وهرميون وراوول سيارة، وصعدنا انا ونيكوس في سيارة فازيلي وماريا والدكتور سيكيليانوس. ورأيت ليدا تضع يدها على ذراع هرميون وتتقدم نحو السيارة. تردد بول، ونظر اليّ. ثم نادته ليدا فقبل عرضها. فانطلقت السيارة الاولى.

ومرّ النهار على هذا المنوال. كلما اراد بول ان يقترب مني ليحدثني كانت ليدا تلحق به. وكلما ارادت الجلوس، كانت تلح على بول ان يجلس في قربها. وكان بول لطيفاً وعادياً. ومرة، اشتبك نظري بنظره وبدا كأنه يريد ان يقول: ماذا يمكنني ان افعل؟

تركتهما معاً وحاولت الاهتمام ببقية افراد المجموعة. تحدثت مع ماريا التي

اخذت تصف لي ليندوس التي زارتها مرات عديدة.

بدأ نيكوس يشعر بالتعب والارهاق وبينما كنا عائدين الى رودوس، وضع راسه الصغيرة على ذراعه خلال الرحلة. ولما وصلنا الى اليخت، ساعدته في اخذ حمام سريع ووضعته في سريره باكرا. تناول الجميع طعام العشاء على متن سفينة فازيلي. وفي اليوم التالي، تناولنا العشاء على متن سفينة راوول الذي ذهب بعد ذلك الى اثينا. ثم الى مارسيليا.

وفي اليوم التالي، استمرت الزيارات. لكن الاتفاق تم على أن ابقى مع ماريا، في الحديقة الكبرى حيث يمكن الاسترخاء وسط الازهار والتماثيل والبرك. كنا جالسين، ماريا وانا، تحت ظل احد الاشجار الكبيرة كنت احاول الاّ افكر في بول. لكن ماريا لاحظت شرود ذهني فقالت:

«ان افكارك اليوم غير مركزة كأنك لا تفكرين بي او بنيكوس.»

«بلى، اني سعيدة ان اكون معك ومع نيكوس.»

«لكنك تكونين اسعد اذا كنتِ مع بول. كان يريد ان يأتي مكاني. اتعرفين ذلك؟ لكن ليدا رفضت لأنه سبق ووعد باصطحابها الى ابالبزوس ليريها كنيسة القديس جرجي.»

«اتعتقدين ان ذلك هو السبب؟... هل ما زالت تحبه؟»

هزت ماريا كتفيها المدورتين تحت فستانها الحرير الابيض والكحلي وقالت:

«ربما ما زالت تأمل فيه انها لا ترى احداً غيره. مثلا راوول المعجب بها كثيرا.»

«راوول؟ لم الاحظ ذلك. كنت اعتقد انهما صديقان فحسب.»

«انه واقع في غرامها. هو رجل لطيف. وبالطبع ليس هناك اي مجال لمقارنته ببول الذي يتمتع بجاذبية لا مثيل لها. صحيح ان بول لطيف، لكنه يتمتع بقوة وبقدرة هائلة... راوول رجل جذاب ايضا، حتى ولو كان وجهه يشبه القرود. انه يناسب ليدا تماما فهي انسانة مرهفة بحاجة الى الحنان. اما

بول فهو شديد الرجولة بالنسبة اليها هل تفهمين ما اقصد؟»

«نعم.»

انها ترى أمورا كثيرة. ازحت وجهي عنها.

بعد الغداء، اخذنا قسطا من الراحة قبل الذهاب الى فيللا لاريسا حيث تسكن السيدة سوتسوس، ابنة عم فازيلي.

الفيلا كناية عن منزل مطلي باللون العاجي. يطل على البحر ومبني وسط اشجار النخيل والورد والنباتات المتسلقة.

استقبلتنا السيدة سوستوس في حرارة. انها امرأة عجوز قصيرة لغتها الانكليزية محدودة ومعظم ما قالته كان يقوم بترجمته لي فازيلي او بول. اظهرت لهفة كبيرة تجاه نيكوس. كانت تأخذه بيدها، وتنظر اليه وتهز رأسها وتتلفظ باسم الكسيس مرات عدة. التفت فازيلي الى وقال:

«ابنة عمتي ايفيزيا ترى ان نيكوس ولد يتمتع بجمال خارق. انه ابن الفجر.»

احتسينا شراب الكرز الاسود واكلنا الحلوى بالعسل والجوز. وتناولنا القهوة ووراء الغرفة الصغيرة ذات الستائر المفتوحة تطل حديقة ملونة ويتسلل من البهو صدى الماء.

صرخ نيكوس وهو ينظر من خلال الباب:

«هناك سبيل، يا امي، مشابه لذاك الذي في فيللا مارمارا.»

فأسرعت السيدة سوستوس القول:

«اذهب الى هناك، يا نيكوس يمكنك اكتشاف المكان. وانت يا سناسي، اتريدين زيارة الحديقة؟»

قلت وانا ابتسم للمرأة العجوز:

«نعم احب الخروج الى الحديقة.»

نهض بول وقال:

«سأذهب معكما.»

رمقت ليدا بول بنظرة تعبر فيها عن رغبتها في المجيء معنا. لكن قبل ان تقف، التفت اليها فازيلي وقال:

«لا ترافقيهم، ياعزيزتي. الطقس حار في الحديقة وانك تبدين متعبة. ان ابنة عمي سعيدة بأن تبقي بقربها.»

وصلنا الى الشرفة واسرع نيكوس الى تسلق السلالم المؤدية الى وسط الحديقة. كان الجو قويا. الورد والقرنفل والجيرانيوم تعطر الهواء، وتبدو كأنها حجارة ثمينة تتناقض الوانها مع الوان اشجار السرو والشربين.

توجهنا، بول وانا، نحو السبيل الواقع تحت ظل شجرة جوز كبيرة ودوالي العنب. حاول بول لمس اصابعي وقال في صوت خافت:

«حبيبتي، اني احبك بعنف لدي شيء اقوله لك.»

شعرت بأنفاسه تلفح عنقي واستسلمت في قشعريرة حلوة. كنت اريد ان اكون بين ذراعيه لكن في هذه اللحظة، لايمكننا الا لمس ايدينا وتبادل النظرات.

«هل تريد ان تحدثني في موضوع ليدا؟ هل كلمتها بالامر؟»

قطب حاجبيه وقال:

«لم يتسن لي بعد الوقت لأحدثها عن مشروعنا. سأحاول في المساء، اذا تمكنت من ان اراها على متن يخت راوول.»

عضضت على شفتي وقلت:

«اني اخاف ان... آه، يا بول، امل ان تكون قد كفت عن حبك.»

«ان ليدا دائما هكذا. امرأة خاضعة ومتعلقة.»

ثم توقف عن الكلام لدى وصول نيكوس:

«امي، هناك تمثال رجل من حجر. تعالي وشاهديه.»

تبعته وانا اقول:

«نعم ياحبيبي.»

بعد دقائق قليلة، نادتنا ليدا:

«تريد ايفيزيا رؤية نيكوس لتريه شيئا ما.»

كانت مفاجأة السيدة سوستوس رائعة، اذ انها ارتنا صورة صغيرة لألكسيس، مرسومة باليد وموضوعة في اطار خشبي مذهب، ومزين بالحجارة الثمينة الصغيرة كان ما زال ولداً في حوالى الثانية عشرة. لا يختلف كثيرا عن الرجل الذي عرفته. كانت عيناه الداكنتان والحيويتان تبتسمان. وشعره الاسود يقع على جبينه.

تأملت الصورة وشعرت بالدموع تصعد الى عيني. ورحت ارده في قلبي:

«الكسيس، يا عزيزي الكسيس لاتلمني لأني احببت بول. اني سأحبك دائما ولن انساك ابدا ..»

كانت السيدة سوستوس تنظر الى محاولة ان تقرأ افكاري. وضعت يديها بيدي اللتين كانتا ماتزالان تمسكان بالصورة، ثم تلفظت بكلمات باليونانية. انحنى فازيلي نحوي وقال:

«تقول ايفيزيا انها تقدم هذه الصورة لك.»

ابتسمت لها وقلت باللغة اليونانية:

«شكرا جزيلا.»

لم اكن اعرف ان أعبر عن عاطفتي افضل من ان اطبع على خدها المجعدة الناعمة قبلة شكر وعربون محبة.

وعندما حان الوقت للذهاب، رفعت ايفيزيا يدها في اشارة مباركة وقالت شيئا لم افهمه. فسألت بول ان يترجم لي. فابتسم بحنان من دون ان يكترث بوجود فازيلي وليدا.

كانت ليدا تنظر الينا ثم قالت في جفاف:

«ان ايفيزيا امرأة عجوز خرفة.»

تناولنا العشاء في يخت راوول، ثم قمنا بجولة وداعية في المدينة وعلى شاطئ

البحر. كان بول وليدا في مؤخرة المجموعة. كنت تواقة الى معرفة الاسلوب الذي سيستعمله بول ليخبر الفتاة عن حبنا.

وبعد سير طويل وجدت نفسي قرب راوول الذي كان يلقي بنظرات عديدة الى الوراء، كأنه ينتظر احداً ما. قال:

«لنتوقف وندخل الى هذا المقهى ونتناول كأسا من الشراب وننتظر مجيء بول وليدا.»

«كما تريد. لكن، ماذا عن الآخرين؟»

«سأخبرهم بالامر.»

اقترب من الآخرين وعاد بعد قليل مصطحبا هرميون.

«اتيان وفازيلي سيذهبان الى ساحة البلدة مع الآخرين وهرميون ستبقى معنا.»

دخلنا الى المقهى المجاور واخترنا طاولة في الشرفة. وبقينا مدة لا بأس بها، دون ان نعرف شيئاً عن بول وليدا.

«لا افهم ما جرى لليدا. ارجو الا يكون بول قد اخذها في طريق اطول ستشعر بارهاق.»

قالت هرميون:

«ربما عادا الى يختك، يا راوول.»

قطب راوول حاجبيه وقال:

«لماذا؟ لكن... ربما كنت على حق. ربما احتاجت ليدا الى منديلها، او ربما فضلت ان تغير حقيبتها.»

نهض فجأة وقال:

«هل انتهيتما من احتساء الشراب؟ سنلحق بالاخرين في ساحة البلدة ثم نعود الى اليخت. انها سهرتنا الاخيرة معا. يجب ألا نبقى منفصلين.»

التحقت بفازيلي وماريا وآل موليه والدكتور سيكيليانوس فوجي،

الجميع بغياب بول وليدا. لكن ربما أرادت ليدا أن تستريح

قرب يخت راوول شاهدنا بول، وحيدا. كان يقترب نحونا

«اني آسف ليدا مصابة... بصداع. لقد اخذتها.لقد اخذتها الى يخت اوسيانيس...»

ثم التفت الى راوول وقال:

«انها تقدم لك اعتذارها وتطلب منك ان تسامحها لأنها ليست قادرة على السهر الليلة وبالتالي لن تكون معك لتتمنى لك رحلة سعيدة.»

ارتسم على وجه راوول تعبير غاضب وفهمت كم هو متعلق بها.

«اني آسف لأني لم ارها لكن، اذا كانت على غير مايرام...»

هز كتفيه. فأسرع بول يقول:

«ستكتب لك.»

«شكراً. سأكتب لها كلمة ارجو أن تعطيها اياها في الغد. هل انت موافق؟»

«نعم. بكل تأكيد.»

السهرة الاخيرة على متن يخت راوول كانت حزينة وكئيبة. كان راوول متوتراً وبول صامتاً. ودعنا راوول ونحن على رصيف المرفأ الى ان أصبح اليخت نقطة لماعة وسط الظلام. عدنا الى السيارات التي كانت في انتظارنا.

اوصلني بول الى غرفتي حاملاً رسالة راوول الى ليدا ثم قال لي:

«سأذهب الآن لرؤية ليدا. اعتقد انها استيقظت. اخاف أن اكون سبباً في صداعها.»

عضضت على شفتي وقلت:

«اني آسفة، يا بول كنت أمل...»

اخذني بين ذراعيه وقال:

«ليست الغلطة غلطتك، ياحبيبتي. اني لست واقعاً في حب ليدا ولا اهتم بأحد غيرك.»

عانقني في حنان ليؤكد لي صحة كلماته.

«ستكلمه غدا من جديد. لاتظهري بهذا المظهر الحزين والقلق، يا ستاسي. كل شيء على ما يرام. اني احبك.»

«وانا احبك ايضا.»

كنت اود ان اصدق كلامه. لكني في الحقيقة. كنت اشك في ذلك الكلمات وحدها لاتكفي.

٩ ـ شبحان على الصخرة

في اليوم التالي استيقظت منزعجة. كان الطقس قد تبدل فتشاءمت السماء اصبحت رمادية وريح هائجة تعصف. الامواج تهز البحر. وبعد هذه الايام العديدة المشمسة، بدأنا نشعر بهبوط الحرارة ونرتدي الكنزات السميكة.

«سنتكلم غداً من جديد». هذا ما قاله بول وانا في انتظاره الآن. لكن ليدا ظهرت. دخلت الى غرفة الطعام حيث كنت مع نيكوس من أجل القيام بممارسة هواية الرسم من دون ازعاج ضيوف فازيلي الذين كانوا يقرأون صحف الصباح.

اقتربت ليدا في هدوء، وظلت وراءنا. فقلت وانا اشعر باضطراب:

«آه، ليدا. هل تحسنت حالتك؟»

«نعم، اني اشعر بتحسن ملموس. لدي شيء أريد ان ابحثه معك يا ستاسي.»

نظرت الى نيكوس المنحني امام الرسوم التي يلونها. نهضت كي اجلس في مكان ابعد قليلاً وقلت:

«سنجلس هنا».

نظر الى نيكوس فقلت:

«لست ذاهبة ياحبيبي. ليدا تريد ان تكلمني.»

جلسنا على الاريكة في زاوية الغرفة ورحت انتظر كلمات ليدا الاولى.

كانت تفتل منديلاً بين يديها، وعندما رفعت رأسها، لاحظت الشحوب تحت عينيها، كأنها بكت كثيراً. وذلك بسببي انا.

«قال لي بول... انه مغرم بك، وانك انت ايضا تحبينه. هل هذا صحيح؟»

«نعم ولم يحصل هذا الحب الا منذ وقت قصير جداً.»

لم اكن أعرف ما يمكنني اضافته.

قالت ليدا:

«وأنا احبه كذلك.»

كانت تتكلم بهدوء ومرارة. كأن كل كلمة تصدر من رأسها تحدث في داخله ألماً كبيراً. نظرت الى نيكوس. كان ما يزال يرسم. فقلت:

«اعذريني. لم اكن اعرف ذلك. كنت اعتقد... بول... قال لي انكما صديقان بسبب العلاقة القائمة بين العائلتين.»

رددت تقول:

«اني احبه وهو يحبني ايضاً. نعم هذا صحيح. انه يحبني.»

تابعت كلامها من دون الاكتراث الى حركة الاحتجاج التي كنت على وشك اصدارها.

«كنا متفقين على الزواج. ولم افكر ابداً انني سأتزوج من احد غيره. حتى عندما بقي غائبا مدة طويلة عن الجزيرة، كنت افكر فيه كل يوم وكنت اصلي كي يعود الى ميلاينوس ويقبل بالبقاء هنا، ونتزوج. لقد عاد وتعمقت عاطفتنا المتبادلة. وبعد وقت قليل، كنت سأصبح زوجته. الى ان أتيت.»

«ليس صحيحاً... ارجوك. لا تظنيني امرأة قاسية. لكن بول قال لي انه يحترمك ويحبك كصديقة. ولا اكثر. ان وصولي الى هنا لا علاقة له بتبدل الامور في ما يخصك.»

«كلا. ان بول تعلق بك لأنك ارملة الكسيس ولأنك جميلة. نعم هذا هو السبب. لقد جنّ جنونه. لكن، اذا عدت الى انكلترا، فإنه سينساك وسيعود الي.»

كتفت يديها، كأنها في وضع الصلاة وقالت:

«ارجوك، يا ستاسي. ارحلي من هنا. لقد حصلت على حب الكسيس. كما ان لديك نيكوس.»

كان صوتها يرتجف انفعالا وظلت تردد:

«ارجوك، ارحلي واتركي لي بول.»

بقيت خرساء، وراحت الشكوك تجتاحني. هل هذه هي الحقيقة؟ هل ان حب بول لي شيء عابر؟ اننا نعرف بعضنا منذ اقل من شهرين. بينما ليدا وبول امضيا معا جزءاً كبيراً من حياتهما.

وماذا لو كان شعوري تجاه بول نتيجة ثلاث سنوات من الوحدة بعد موت الكسيس؟ مثل أميرة في القصص الخرافية، استعادت الحياة بعد قبلة واحدة. مثل برسفوني التي خرجت من الشتاء نحو نور الربيع، وعرفت ان تحب من جديد.

لقد ايقظني بول ولهذا انا احبه. لكن هل ان هذا الحب كان لبناء المستقبل معه؟

وكأنها شعرت بترددي، فانحنت نحوي وقالت:

«عديني بأنك سترحلين.»

ترددت متحاشية نظراتها المتوسلة، وقلت:

«لا استطيع. لن افعل قبل أن اتأكد ان بول...»

توقفت. فقالت:

«اذا قررت الرحيل، ستتأكدين من كل شيء. فاما ان يذهب معك، او يبقى معي.»

تساءلت ما اذا كانت ليدا تدرك خطورة وضعها، اي اذا كانت تعرف انها غير قادرة على الانجاب. اذا حاولت استعادة بول، من دون ان تقول له الحقيقة، تكون قد خدعته. واذا حدثته بالامر، سينقلب القدر ضدها. وانا لايمكنني ان اقول لها شيئا. لقد وثق فازيلي بي ما العمل؟ هل اعود الى انكلترا؟»

كنت حائرة. نظرت اليها من جديد. بدت لي نحيلة ومحزنة ومثيرة للشفقة. يجب الا أجرح شعورها. لقد كان لدي الكسيس والان لدي نيكوس لكن بول... وذلك النهار الجميل الذي امضيناه في جزيرة كوسيانيه، وتلك السعادة التي لن انساها. لا شيء يمكن ان يفرحنا لكنني انا التي جئت وتدخلت بينهما.

قلت ببطء:

«سارحل شرط ان تعديني بشيء، في مقابل رحيلي.»

«ماذا، قولي؟»

نظرت اليها بقسوة وقلت:

«اريد منك وعدا قاطعا بأن تظلي مخلصة وشريفة مع بول، مهما حدث.»

«لا افهم ماذا تقصدين؟»

«ستفهمين في المستقبل. لكن اعطني هذا الوعد.»

«انني اعدك.»

قلت بأسف وحسرة:

«وانا سأغادر ميلاينوس.»

نهضت وقالت:

«شكرا، يا ستاسي.»

اختفت في الطريق نفسها التي ظهرت فيها. جلست من جديد. اذن، كل شيء كان مقرراً، لكن المخطط لم يكن مخطط فازيلي برغم مهارته، ولا بول الذي كان يريد الزواج مني. بل مخطط هذه المرأة النحيلة، الناعمة، ليدا. سأعود الى انكلترا مع نيكوس، واذا كان بول يحبني حقا، فانه سيلحق بي. لكن اذا كانت عواطفنا عابرة، فعلي ان انساه واعيش من جديد، وحيدة.

لقد سبق وعشت وحيدة، بعد وفاة الكسيس...

اين سأجد الشجاعة لأبدأ حياتي من جديد؟ لا استطيع! ان الحياة من دون بول تبدو لي سجنا مؤبدا.

لقد وعدتها بالرحيل. وبعد قليل سنصل الى ميلايتوس وعلي ان اطلع فازيلي على قراري الاخير.

سيغضب سيحاول اقناعي بالبقاء، وان اترك له نيكوس لن اصغي اليه وكلماته لايمكنها ان تغير شيئا من قراري.

لكن بول، كيف سابلغه قرار رحيلي؟

خلال الطعام، اعلمنا فازيلي اننا سنتوقف مرة واحدة، في جزيرة شيوس، لايصال الدكتور سيكيليانوس وهرميون. ووفقاً لنشرة الاحوال الجوية التي سمعناها في المذياع فإن الطقس سيشتد تأزما لكنه قال ليطمئننا:

«لا داعي للقلق، رغم ان بحر ايجه يمكنه ان يصبح غداراً فإن البحر ليس عميقا، واحيانا تظهر الصخور من فوق الماء. لقد طلبت ان يصار الى تحريك المحركات كلها. وهكذا سنصل الى ميلايتوس قبل هبوب العاصفة القوية.»

ابتسم ثم تابع يقول:

«اعتقد انه من الافضل لنا ان نبقى داخل اليخت، في مثل هذا الطقس، وبالتالي نسمح لطاقم الباخرة ان يقوم بعمله على احسن مايرام.»

ثم نظر الي وقال:

«ان بول يدير طاقم الباخرة، على سطح الباخرة، ويساعده في ذلك يورغوس. انه يقدم لك اعتذاره.»

وعندما حلّ المساء، بدأت الريح تعصف بقوة والامواج العالية تؤرجح اليخت. لم يظهر بول وقت العشاء، وهذا ما اراحني لأني لم اكن اريد اخباره بقراري بهذه السرعة.

كنا نسبق العاصفة لكنها كانت تتبعنا وخلال فترة سكون الريح، انزلنا الدكتور وهرميون، ثم توجهنا نحو ميلايتوس. لم يبق امامنا سوى ساعات معدودة واخيرا دخلنا المرفأ لقد اتعبتنا الرحلة وبدأت قدماي ترتجفان.

كان مايك في انتظارنا. اسرع نحو فازيلي، ثم نحو ماريا واخيراً

نحوي كانت يداه الكبيرتان تحاولان لمس يدي وقال:

«لايمكنك ان تدركي كم انا سعيد لرؤيتك من جديد لقد كنا قلقين ونحن في اليخت، وسمعنا في الراديو نبأ يقول إن يختاً ارتطم بالصخور مساء امس قرب اندروس. كدت أموت هلعاً ياعزيزتي. كيف تشعرين الآن؟»

حاولت الابتسام وقمت بجهد لأبدو طبيعية.

«لا بأس. لكنني لم اكن اعتقد بأن ذلك يحصل في فصل الصيف. اعرف ان العواصف في الشتاء مرعبة.»

«عندما تعصف رياح الملتيمي تكون احيانا خطرة. هل فكرت فيّ؟ لقد اشتقت اليك كثيراً.»

اقترب بول وشعرت بإحساس بالذنب. خلال هذين الاسبوعين نسيت مايك كلياً.

تجهم وجه مايك وقال:

«انني متأكد من انك كنت في احسن حال مع هؤلاء الاثرياء ولم تفكري فيّ أبداً.»

«الامر ليس كذلك يا مايك.»

«انني امزح ياصغيرتي، وانا سعيد لأنك تسليت وفرحت. سأوصل ماريا واعود بعد ظهر اليوم الى فيللا مازمارا. ارجو ان يتسنى لي قضاء النهار معك.»

«نعم. ولكن...»

«ماذا؟»

«لاشيء.»

ضغط على اصابعي وقال:

«الى اللقاء بعد الظهر»

كان بيتروس ينتظر قرب سيارة المرسيدس، وكان في داخلها ليدا وفازيلي اقترب بول مني وقال:

«ارجو ان تكوني قد افهمت مايك ألا يأمل كثيراً فيك. من الآن فصاعدا انت

ملكي يا حبيبتي.»

بدأ قلبي ينبض بسرعة عند رؤية عينيه الداكنتين. واضاف يقول:

«هل اتعبتك الرحلة؟ لقد نجونا مما هو ادهى. وعندما ستعصف الرياح بقوة سنكون في المنزل سليمين.»

لم يكن في امكاني الرد عليه. كيف سأوافيه بالنبأ؟ كيف أنفذ وعدي لليدا؟

لم يظهر بول إلا وقت العشاء. كان نظيفاً وانيقاً ومتغيراً. دخل الى الصالون حيث كان فازيلي يقدم الينا الشراب. كان السيد بانايديس مسروراً جداً لرؤيتنا وقال:

«كنا كلنا قلقين عليكم، الخدم، صغارهم وكبارهم توافدوا للاطمئنان على اخباركم. وابلغنا السيد هاردينغ انه اتصل بكم بواسطة راديو المطار، ثم علمنا بعودتكم وارتحنا.»

فجأة هزت الفيللا زوبعة قوية فانتفضت. قال فازيلي:

«لا تخافي ياعزيزتي. ستعصف الريح لمدة يومين او ثلاثة ثم تهدأ. ويعود كل شيء الى ما كان عليه.»

كنت اود تصديقه، ولكن بعد ايام قليلة، عندما تهدأ الريح، سيكون كل شيء مختلفاً تماماً.

بعد طعام العشاء، توجهنا الى قاعة الاستقبال لتناول القهوة. كانت التيارات الهوائية، من حين الى آخر، تعبر الصالة محدثة ظلالا متحركة. قناديل الزيت مشتعلة بسبب انقطاع الكهرباء. لم يحول بول نظره عني، وشعرت بحاجة ماسة الى ان يأخذني بعيداً حيث يمكننا ان نكون وحدنا. دخلت ديبو واقتربت مني وقالت:

«جئت اعلم السيدة ان السيد نيكوس متضايق من هذا الطقس السيء وهو يريدك الى جانبه.»

وقفت على الفور وقلت:

«آه ياحبيبي المسكين. كان يجب علي أن أتفقده. شكراً يا ديبو، سأذهب فوراً.»

قطب فازيلي حاجبيه وقال:

«لا تكوني متساهلة جدا مع هذا الصبي.»

لم ارد واسرعت الى نيكوس الذي كان في سريره يبكي من الخوف. وقال:

«هناك رجل يطرق على نافذتي ويريد ان يدخل.»

ضممته الى صدري وقلت:

«انها الريح ياحبيبي لاتخف. ألا تتذكر كيف كانت الريح تتقاذف طائرة الورق؟»

خبأ رأسه تحت ابطي وقال:

«هل الريح غاضبة؟ تبدو وكأنها تريد تدمير المنزل.»

«لا تستطيع الريح ان تفعل ذلك ياحبيبي سأخبرك الآن قصة وبعدها لن تعود تسمع الريح.»

«نعم، اخبرني قصة الدلفين.»

استجمعت افكاري ورويت له حكاية تدور حول شخصية خرافية بحرية صديقة الصيادين وتحدثت عن الريح وعن صديقها الدلفين، الذي تحمله الامواج نحو جزيرة ساحرة. ولاحظت اخيراً انه نام، فابتعدت عنه واطفأت النور وخرجت.

كانت قاعة الاستقبال فارغة. سمعت اصواتا اتية من غرفة الطعام. ترددت وجلست في أحد المقاعد. وبعد دقائق انفتح باب المكتب ودخل فازيلي وقال:

«آه، لقد عدت. اعتقد بان السهرة تتخللها بعض المضايقات. يبدو ان بول وليدا غارقان في حديث طويل.»

نظر الي من تحت حاجبيه العريضين واضاف:

«ما كان ينبغي ان تبقى كل هذا الوقت مع نيكوس.»

«انني متعبة وجئت لأتمنى لكم ليلة سعيدة.»

«ما بك يا ستاسي. الا تعرفين ما يشعر بول به نحوك. لماذا تسمحين لليدا بالاستئثار به؟»

«ربما لديها حقوق اكثر مني عليه. انها تحب بول. وانا آسفة لما اخبرتني عنها.»

«الشفقة هي جبن. انها تحول دون اتخاذ القرارات. يجب ان تفكري ببول وليس بليدا.»

نظرت اليه. كان فاقد الصبر فقلت له:

«انت انسان عديم الشفقة يا فازيلي.»

واستغربت حين ابتسم وقال:

«الرجال الاقوياء هم غالبا هكذا. كيف تظنين انني وصلت الى هذا المركز من دون هذه الميزة؟ انها صفة يجب ان تنظري اليها بأعجاب.»

هززت رأسي وقلت:

«مهما كانت هذه الميزة ذات قيمة رفيعة فأنني لست مستعدة لأن اتحلى بها. لقد اتخذت قرارا نهائيا بأن اعود الى انكلترا فورا مع نيكوس.»

«لماذا تقولين هذا الكلام؟ امن اجل ليدا؟»

«نعم. لقد تحدثنا معا ووعدتها بأن ارحل من هنا.»

«وتتركي لها بول؟»

«انه الحل الافضل. اذا كان بول يحب ليدا، كما تعتقد هي، فسيعود اليها واذا كان يحبني، فسيلحق بي الى انكلترا.»

«افهمك. لقد قدمت اليك اشياء كثيرة لكي تبقى هنا. لماذا تتصرفين هكذا؟»

«ان بول وحده سيد افعاله. ارجوك لاتعتبرني جبانة. نيكوس وانا امضينا عطلة رائعة، لكن هذا لايمكن ان يستمر»

«متى تنوين الذهاب؟»

«عندما تنتهي العاصفة.»

«ليس لدي شيء اضيفه.»

«انني آسفة لن انسى ابدأ اقامتي هنا.»

لم اكن قادرة على متابعة الكلام. سأنفصل عن بول. انها النهاية. اخيرا قلت:

«تصبح على خير.»

يبدو أن الريح اخذت كلماتي معها. الستائر تتطاير برغم أن النوافذ خشبية. خرجت من الصالون مسرعة وصعدت الى غرفتي.

كانت الريح طوال الليل، تعصف بجنون. استيقظ نيكوس من جديد فأحضرته الى سريري حيث اخلد الى النوم. اما انا فقد بقيت مستيقظة اصغي الى صوت الريح والى اصوات الاشياء التي تجرفها والى زمجرة غضبها. لم اكن خائفة، بل يائسة وحزينة لأنني قررت مغادرة ميلاينوس.

وعند الفجر تمكنت من النوم ولم افتح عيني الا عندما جاءت ديدو تزيح الستائر. الريح لا تزال تعصف كما في الامس. احضرت لنا ديدو فطور الصباح الى الغرفة، لأننا لم نتمكن تناوله في الشرفة كما هي العادة، ولم اكن اريد لقاء السيد فازيلي في غرفة الطعام.

كان نيكوس يصر على الخروج، لكنني كنت مرهقة، عاجزة عن ايجاد القدرة الكافية لأبلغ بول بأنني عائدة الى انكلترا.

اسرع نيكوس الى السلالم، وبينما كنت مستعدة للهبوط لمحت بول ينتظرني تحت. وفي لحظة تذكرت ذلك الصباح عندما التقينا وكانت رأسه منحنية على يده المكسورة، يشعل سيكاراً. رفع رأسه ونظر الي بعيني الكسيس. استعدت توازني واقتربت منه في بطء وصدري يحترق ألماً. وما ان اصبحت في منتصف السلم حتى مدّ بول يده نحوي. مددت اصابعي وتمسكت به.

«ستاسي، يجب ان نتحدث.»

ومن غير وعي نظرت نحو باب المكتب الذي قد يكون فازيلي وراءه.

«انجلوس كان في غرفة الطعام.»

جذبني نيكوس من تنورتي وقال

«هل سنخرج يا امي؟»

«الطقس سيء ياحبيبي.»

«سنذهب الى الشاطيء.»

«لا ياحبيبي.»

تقلص وجهه كأنه سيجهش بالبكاء. فقال بول بسرعة:

«انها فكرة رائعة. سننزل الى الكوخ حيث لا يزعجنا احد، وحيث في استطاعة نيكوس ان يلهو وحده.»

«ولكن كيف نتمكن من الوصول الى الكوخ من دون استعمال المصعد؟ هل نسيت ان الكهرباء معطلة؟»

«نأخذ السلم. هناك ٢٩١ درجة بالضبط واذا شعر نيكوس بأنه عاجز عن مواصلة النزول فسأحمله.»

لم يسبق لي ان استعملت هذه السلالم، لكن سبق ورأيتها انها تأخذ شكلاً متعرجاً. اخذت الريح تتلاعب بملابسنا وشعرنا. كنا كلما هبطنا اكثر نسمع صوت ارتطام الامواج على الصخور. كان نيكوس متضايقاً ويريد العودة. كان افضل لو ارسلناه الى ديدو، لكنه رفض واصرّ على متابعة الرحلة.

كان كوخ الشاطيء كبيراً يتألف من غرفتين منفصلتين وقاعة كبيرة وحمامين. راح نيكوس يكتشف الزوايا ويقرقع على باب المصعد ويسرع نحو النوافذ ليراقب الامواج.

اما بول وانا فكنا نتبادل النظرات في صمت. كنت أمل ان يمتنع عن معانقتي كي لا يقضي على المقاومة التي أعددت نفسي لها اخيراً بدأنا الكلام معاً:

«بول، اريد ان اقول لك...»

«مساء امس تحدثت مع ليدا...»

سكتنا ثم ابتسم بول وظل صامتاً.

«ماذا يجري يا بول؟»

«يبدو يا حبيبتي ان العاصفة منعتك من النوم. اليس كذلك؟»

سكتنا من جديد ثم اخذنا نضحك. قال بول وهو يمسك بيدي:

«اخبريني.»

ابتلعت ريقي وقلت:

«انني... انني... راحلة. سأعود الى انكلترا. تحدثت في الموضوع مع والدك مساء امس.»

كنت انتظر احتجاجه، لكنه اخذني بين ذراعيه وقال:

«أبسبب ليدا؟»

«هل تكلمت ليدا معك؟»

«اخبرتني انا ايضاً. ابلغتني بأنها ستجري عملية جراحية من اجل الانجاب. هناك امل خمسين في المئة. ولن تجري العملية إلا اذا تزوجتها. ان الوضع دقيق جداً بالنسبة الي، يا ستاسي.»

«وماذا ستفعل؟»

قطب حاجبيه وقال:

«اريد ان اتزوجك انت. انت تعرفين هذا. انا لا اؤمن بالتضحيات غير المجدية، لكنني احترم ليدا كما انني اعرفها من زمان. وما يحدث لها يحزنني كثيراً. هل كنت جباناً لأنني لم اقل لها في برودة: انت حرّة في اجراء العملية الجراحية، لكنني لن اتزوجك. انني احب ستاسي.»

سرت نحو النافذة انظر الى الافق وقلت:

«لا طبعاً. لايمكنني ان اسرقك منها. قلت لك انني سأعود الى انكلترا في كل

حال...»

«في كل حال، ماذا؟»

«في كل حال، ربما كانت ليدا تليق بك اكثر مني. انتما تستمتعان باشياء كثيرة مشتركة، انتما من البلد نفسه وتنتسبان الى الحضارة نفسها. واذا رحلت فستنساني.»

ضغط من جديد على كتفي وارغمني على النظر اليه وقال:

«كل هذا لا يجدي. انني احبك انت. لن انسى مدى الحياة ذلك اليوم الذي امضيناه معا في كوسيانيه، وما من احد يمكنه ان يغير شيئا.»

انحنى ليعانقني، لكن ضجة كبرى ابعدته عني. اذ انقلب كرسيان من الحديد موضوعان قرب الحائط، وظهر نيكوس من تحتهما مرعوبا وقال:

«كنت ابني خيمة.»

«كن حذرا في المرة المقبلة والا سحقتك الكراسي.»

غمزني وذهب نحو الحمام فقلت له:

«لا تبلل نفسك.»

نظرت الى بول وقلت:

«الا يمكننا ان نتكلم في جدية؟»

«بلى ينبغي ذلك. لدي اشياء كثيرة اقولها لك. ثقي بي يا ستابي. ان الله وحده يعرف كم اكره ان اراك تعودين الى انكلترا. اريدك في قربي كل لحظة. غير ان ليدا وضعها دقيق للغاية. لنفترض انها اجرت العملية الجراحية ونجحت عندئذ يصبح الوضع سهلا علي لأبلغها بأنني لا اريد ان اتزوجها.»

«اليس هذا قاسيا وهي التي سترضى بأجراء العملية من اجلك؟»

«ومن اجلها هي ايضا. متى عرفت ان في امكانها الانجاب فستكون حرة في اختيار الرجل الذي تريد.»

بقيت صامتة. ماذا لو ان العملية فشلت. سيضطر بول الى البقاء معها

وسيتزوجها قلت:

«انني ادرك مدى الصعوبات التي تعترضك الآن. انت تحب ليدا ولا يمكنك ان تؤذيها. انا راحلة.»

«سالحق بك اينما كنت. انها مسألة وقت فقط لا غير.»

الوقت. اسابيع لانهاية لها، بل اشهر طويلة، وحيدة، حزينة. اغمضت عيني امام هذا الواقع، ثم فتحتهما. الشفقة هي اصعب الامور.

قلت محاولة الابتسام:

«سأنتظرك.»

«نعم يا حبيبتي... سأظل احبك الى الابد.»

«انا احبك كثيرا.»

انفتح الباب وظهر نيكوس قائلا:

«ان حذائي مبلل.»

«انك يا نيكوس شيطان كبير.»

«لا ان هذا ليس صحيحا. هل سنعود؟»

«يجب ان نعود الآن.»

«هل سنصعد السلالم؟ انا لا أحب صعود السلالم.»

«سيحملك العم بول.»

«لا اريد ان يحملني احد.»

اشار بيده الى السلالم التي تؤدي الى حديقة برسفوني وقال:

«من هنا يا امي.»

«لا اعتقد ان الطريق من هنا خطرة. اليس هذا صحيحا يا بول؟»

«لن يكون الامر صعبا خصوصا وان عدد الدرجات اقل.»

عبرنا الباب الذي يطل على الشرفة. واجهتنا الريح وراحت تتلاعب بتنورتي وسترتي وشعري. هرعنا نحو الطريق المؤدية الى السلالم وبدأنا بالصعود واستعدنا

عن الامواج.

رفعت رأسي وبدأت ارتجف. رحنا نتامل معاً الازهار والنباتات النامية على السلالم. كانت مكسورة بتأثير الريح. لقد خسرت رونقها والوانها الزاهية. قلت:

«كانت نباتات جميلة»

«ستنمو من جديد وستتفتح وتزهر»

هززت رأسي لأنني تذكرت انني لن اكون هنا لأراها تنمو من جديد.

بدأنا نصعد بعدما احنينا رؤوسنا والتصقنا بطرف السلم. كان بول وراءنا مستعداً لالتقاطنا اذا ما قذفتنا الريح. فجأة سمعته يصرخ:

«يا الهي. المرأة التي هناك. اليست هي ليدا؟»

توقفت ورفعت رأسي فرأيت ليدا واقفة على قمة الصخرة وتنظر الينا. كانت تشبه تمثالاً، واضعة يديها من جهتي رأسها كأنها تحمي شعرها. كان فستانها الابيض ملتصقا بجسمها وكان فازيلي يقف وراءها.

بدت ليدا وكأنها تنحني الى الامام، كأنها تحاول ان ترى افضل أو تريد أن تنادينا. وشاهدت فازيلي يمد يده نحوها ربما ليمسكها. ولم أعد اعرف شيئاً كنت بعيدة جداً كي اتمكن من مراقبة تعبير وجهها. اليد الممدودة نحوها بدأت تتحرك لتدفعها أو لتتمسك بها. ثم حصل ما حصل.

كأنها اسطورة يونانية: الشبحان على قمة الصخرة. ليدا وشعرها المتطاير وفازيلي الجامد وراءها ماداً يده. فقدت ليدا توازنها ويبدو أن قدمها تعثرت بحجر. وبعد ثانية سقطت وابعدت يديها عن شعرها محاولة التمسك بما حولها ثم راحت تتدحرج على السلالم ثم ما لبثت ان توقفت وجمدت في منتصف السلالم.

١٠ - ... وبقي الطاغي وحيداً!

صعد بول السلالم في سرعة وكان نيكوس متشبثا بقدمي. ينظر الى ما حدث وقد فتح عينيه الواسعتين. ثم قال:

«امي، ماذا يجري؟ من هي؟»

«انها ليدا لقد سقطت وذهب بول ليساعدها»

كانت تشبه عصفوراً مصاباً وزيل فستانها الابيض ممدد حولها. تفحصها بول ثم اخذها بين ذراعيه وصعد معها. جاء فازيلي نحوها ثم رفع رأس ليدا ومدّ ذراعه حولها ليساعد بول.

ظل نيكوس يحدق بالجميع فقلت له:

«تعال يا حبيبي، سنلحق بهم.»

وببطء بدأنا نصعد. كان بول قد مدد ليدا على البلاط قرب السبيل وراح يمسح وجهها بمنديل مبلل وكان فازيلي ينظر بصمت.

ركعت قربها واخذت يدها وقلت متلعثمة:

«هل هي... هل هي...»

«انها حية. شكرا يا الهي. هل في امكانك الذهاب الى المنزل وارسال بيتروس مع الحمالة؟ قولي لديدو ان تعد الغرفة وتدفئ السرير ايضاً. اذهب مع ستاني. تبدو متألماً.»

سألته:

«كيف وقع الحادث؟»

اجاب فازيلي

«لا اعرف. جئت الى الحديقة، فلحقت ليدا بي. كانت تبحث عن بول. ثم رأيناكم وانتم تصعدون السلالم. كانت قلقة وفجأة، سقطت.»

كان كئيبا وانا كذلك. كنت احاول اخفاء كآبتي عن نيكوس.

وبسرعة، ذهب بيتروس الى الحديقة وصعدت ديدو لتعد الغرفة قلت لفازيلي عندما كنا في البهو:

«يجب استدعاء الطبيب»

«الطبيب؟ لكن ليس في هذا المكان اي طبيب.»

«اطلب طبيبا من اثينا او من جزيرة اخرى.»

«لا يمكن لليخت ان يبحر الآن. لننتظر قرار بول.»

بعد لحظات، عاد بول وبيتروس حاملين ليدا على حمالة ووضعاها في سريرها. كانت فاقدة الوعي.

تبعتهم ثم نظفت وجهها وعريتها من ملابسها ووضعت عليها الغطاء.

«اذا كانت مصابة في ظهرها فقد يحدث اي شيء إذا حركتها. سأذهب واحضر الطبيب.»

«فازيلي يقول انه يجب اخذها الى اثينا.»

«هذا مستحيل. الريح هدأت وسأذهب مع هاسكي. انه الحل الوحيد. وسأعود مصطحبا احد الجراحين.»

عضضت على شفتي وقلت:

«الا يمكن لمايك أن يذهب وحده؟ انه يعرف قيادة الطائرة.»

اجاب بول بجفاف:

«لا، شكرا يا ستاسي. لن اسمح لمايك ان يقوم بمهمة قاسية كهذه. في كل

حال، اني طيار قدير ويمكنني المجازفة.»

«آه، يا الهي، يمكن ان يحدث لك مكروه.»

امسك ذقني بيده وقال:

«حبيبتي، حاولي الا تقلقي. اني متأكد من انني سأنجح في مهمتي.»

وضعت وجهي في ابطه فقال لي:

«ابقي قرب ليدا وعندما تتعبين، دعي ديدو او فازيلي يحلان مكانك. لا تتركوها وحدها. هناك مسكنات وصفها الدكتور ديمتري. اعطيها منها اذا استيقظت ولكن قد يحصل اي شيء قبل عودتنا.»

«متى تعودون؟»

نظر الى ساعته وقال:

«انها مسألة ساعات قليلة. سنعود في نهاية بعد الظهر، او في المساء. انا ذاهب الآن يا حبيبتي.»

«سأصلي من اجلك.»

كان قد ذهب. فجلست في المقعد، قرب السرير. ومن جديد بدأت الريح تعصف محدثة ضجة رهيبة على سطح المنزل. النوافذ الخشبية تصفق والاشجار تتحرك بسرعة والاوراق تسقط الواحدة تلو الأخرى. وفكرت وقلت لنفسي: لن يستطيع بول ان ينجح في مهمته. في مثل هذه الاحوال.

انفتح الباب ودخل فازيلي.

«بول يتصرف بجنون. لماذا لم تمنعيه من الذهاب؟»

«حاولت.»

«ومن اجل من؟ من اجل... من اجل ليدا! هذه الفتاة المعاقة. لماذا يضحي ابني بحياته من اجلها؟»

ازعجتني قسوته. اليس عنده ذرة من الرحمة؟ انا ايضا احب بول. لكنني افهم حرصه على انقاذ ليدا. لكن فازيلي لم يكن يحب الفتاة. ليس لديه حب

يقدمه لمن لا يطيعه او لمن لا فائدة منه.

اجتاحتني قشعريرة انه غير قلق عليها.

فجأة، رأيت رأس ليدا يتحرك على الوسادة. انحنيت لأمسك بيدها النحيلة وشعرت باصابعها تضغط على اصابعي. ثم فتحت عينيها ونظرت الى السقف ثم تحولت نحونا ولدى رؤيتها وجه فازيلي، تقلصت من الالم او من الخوف؟ راحت تتأوه بضعف وتقول:

«لا... لا. ارجوك.»

وضعت يدي ببطء على جبينها وقلت:

«كل شيء على ما يرام يا ليدا لقد نجوت.»

«اذهب. اذهب...»

لمن تقول هذا الكلام، لي او لفازيلي؟

قلت في لهجة هادئة:

اهدأي. سنذهب وندعك تنامين.»

ولفرط دهشتي، تمسكت بيدي وقالت:

«لا، انت. ابقي.»

قلت لفازيلي:

«اعتقد انها تريد منك ان تذهب.»

قطب حاجبيه وخطا خطوة الى الوراء، وقال:

«انها تهذي...»

قالت ليدا شيئاً ما بصوت خافت. فانحنيت لأسمعها:

«... بول...»

«ذهب ليحضر الطبيب. وسيعود في الحال.»

يبدو انها لم تسمعني، لكنها رددت الاسم وفهمت فجأة انها تتلفظ بكلمة راوول.

لم تعد تتكلم ولم تفتح عينيها هز فازيلي كتفيه وخرج.

الانتظار كان طويلاً جداً. دخل انجلوس حاملاً صينية بين ذراعيه. فأكلت بعض الدجاج وشربت القهوة لتهدئة اعصابي. حلت ديدو مكاني بعض الوقت لأغتسل وارى نيكوس. ولما عدت الى غرفة ليدا، التقيت بمايك. جاء نحوي وامسك بيدي وقال:

«جئت لأرى ما اذا كان في امكاني تقديم اية مساعدة. يا ليدا المسكينة. كيف حالها الآن؟»

«من الصعب الاجابة. لا يبدو انها متألمة. هل هناك اي خبر عن بول؟»

«كلا. لقد غادر المطار منذ نصف ساعة. انه طيار قدير وسينجح في مهمته. اردت ان اذهب مكانه. لكنه رفض.»

«آه. مايك.»

بالرغم مني رحت ابكي.

«لا. يا صغيرتي. لاتبكي سيعود بول بسرعة.»

«اعرف. لكني قلقة.»

«من اجل بول؟ متى حصل هذا الحب؟ انت تحبينه. اليس كذلك. وهل هو يحبك الحب نفسه؟»

«من الصعب تفسير هذا في الوقت الحاضر.»

«لا تخافي. اني افهم كل شيء.»

«مايك. كنت اود ان تكون انت من اقع في حبه. لكن لم اعد قادرة على ان افعل شيئاً. انني عائدة الى انكلترا.»

«لكن... لماذا؟»

«لايمكنني ان اشرح لك السبب اني آسفة. يا مايك. لكن قل. الم اشجعك على محبتي. اليس كذلك.»

وضع يديه بنعومة على كتفي وقال بلطف:

«اني احبك، يا ستاسي، منذ اللحظة الاولى. اذا لحقت بك الى انكلترا، فهل ستبدلين رأيك؟ هل لدي حظ معك؟»

«لا، يا مايك. كنا صديقين حميمين.»

«حسناً. لكن تذكري، اننا نعيش في الكرة الارضية، في الكوكب نفسه. اذا كنت في حاجة الى...»

«لن انساك ابداً، يا مايك.»

كان صوتي يرتجف كأنني سأبكي من جديد.

«وداعا، يا صغيرتي.»

استدار مايك متوجهاً نحو السلم.

وما ان دخلت الغرفة حتى نهضت ديدو وقالت لي:

«لم احول نظري عنها.»

«شكرا ديدو. سأسهر الآن عليها.»

ليدا لاتتحرك. فقلت في نفسي: ماذا لو ماتت؟ فلن تعود هناك اية مشكلة بالنسبة الى والى بول.

وفي خجل ابعدت هذه الفكرة عن مخيلتي ورحت اتمنى شفاء ليدا. ضغطت على يدها كأني امدها بالحياة. وفجأة، فتحت عينيها وهمست:

«لاتدعي... فازيلي...»

ثم اغمضت عينيها من جديد فقلت:

«ليدا، ماذا يجري؟»

لقد فقدت وعيها من جديد. لم تكن تريد فازيلي في غرفتها. كانت خائفة منه. لكن، أليس هو الوصي عليها كأنه والدها...

حاولت استعادة تفاصيل الحادث المؤلم من جديد. الشبحان تؤرجحها الريح، في قمة الصخرة وكان فازيلي مادّاً يده نحوها. لكن من الصعب القول بأنه لمسها اذن، لماذا لم يساعدها، عندما التفتت الى الوراء، هل لأنه دفعها؟

احتلني شعور بالرعب. حاولت التخلص من هذه الافكار المزعجة

«لا، انه حادث فقط.»

استعدت انفاسي. لاشك في ان فازيلي لا يتردد في استخدام الناس لتحقيق اهدافه. لكن ليس الى حد ارتكاب جريمة؟ ربما قال لليدا كلمة قاسية هزتها، فتأرجحت وسقطت. لكن لماذا لم يحاول منعها من السقوط؟

وذلك الصوت الماكر عاد الى رأسي. الشك والريبة. وضعت يدي على اذني حتى لا اسمع الصوت، فتذكرت ليدا ويديها على صدغيها، على قمة الصخرة.

التفت الى السرير وفكرت من جديد: ستموت.

وفي الحال، انفتح الباب وظهر بول على عتبته.

لم تكن لفرحتي حدود. اردت ان ارتمي في احضانه واذوب بين ذراعيه. انه حي! ورأيت وراءه اتيان وراوول.

وبكلمات قليلة شرح لي بول كل شيء، وبينما كان الطبيبان يعاينان ليدا، اخذني بول الى الغرفة المجاورة واخبرني تفاصيل رحلته الخطرة وكيف ساعده هاسكي للتغلب على العاصفة. اتصل بيخت راوول الذي كان ما يزال راسياً في بيريوس، فأسرع مع اتيان الى مطار اثينا كما تسنى لاتيان الاتصال بممرضة ستحضر غداً الى ميلانوس

امسك يدي وعانقني وقال:

«استجاب الله الى صلواتك.»

«ماذا لو لم تعد؟»

«لكني انا هنا الآن.»

«هل رأيت والدك؟»

«قليلا. سأذهب الآن لرؤيته. يبدو انه متوتر.»

زالت كل شكوكي. كيف يمكنه أن يكون مجرماً؟ والد الكسيس وبول، مجرم؟

انه رجل قاس. لكنه ليس مجنوناً!

انفتح باب الغرفة. سأل بول:

«كيف حالها؟»

وبرغم نظرته القلقة، تكلم اتيان بصوت مطمئن:

«لقد اصيبت سلسلة الظهر قليلاً. يجب ألاّ تتحرك لمدة اسبوع. ثم ينبغي نقلها الى المستشفى لأجراء عملية جراحية.»

«في اثينا؟»

«انى افضل باريس. يمكن أن نجريها في اثينا حتى لا تقوم بأي حركة ثم ننقلها الى باريس. لكن كيف سنذهب الى اثينا؟ سبق وقلت ان لايمكن لأي طائرة كبيرة ان تهبط هنا؟»

«يمكننا ان نذهب بطريق البحر.»

«طبعا هذا اسهل. ثم من هناك نستقل طائرة سريعة الى باريس. أحب ان استشير والدك.»

وعندما ذهب الجميع، توجهت نحو النافذة ونظرت الى الاشجار المتأرجحة والامواج التي ترتطم بالصخور. لقد زال الخطر. ليدا هي الآن بين ايدي اعظم الجراحين. وبول حي يرزق وسوف يتزوج من ليدا في المستقبل. وانا ساعود الى انكلترا.

كنت مستغرقة في افكاري ولم اسمع راوول يدخل ويسألني؟

«اين اتيان؟»

«ذهب مع بول ليكلما فازيلي حول نقل ليدا الى المستشفى. كيف حالها؟»

«انها نائمة. لقد حقنها اتيان بأبرة مسكنة.»

كان وجهه قلقا عندما قال:

«انها تبدو خائفة جدا. غدا تاتي الممرضة للاهتمام بها. الى ان تصبح قادرة على الانتقال الى المنزل.»

«هل سنذهب الى باريس؟»

«نعم. انها امنية اتيان وامنيتي انا ايضا.»

في صباح اليوم التالي هدأت العاصفة. كأنها معجزة. الشمس تلمع من جديد، البحر هادىء، والسماء زرقاء من دون غيوم. الاوراق المبعثرة وبقايا الزهور كانت وحدها اثار العاصفة.

وصلت الممرضة بعد الظهر وسافر اتيان في الطائرة نفسها وبقي راوول كما كنت اتوقع.

ظلت ليدا نائمة والممرضة تروح وتجيء، مثل ظل. عاد بول الى اثينا لقضاء بعض الاعمال، وامضى فازيلي معظم وقته في مكتبه.

امضيت الوقت على الشاطىء، مع نيكوس. في انتظار ان يتسنى لي التحدث عن رحيلي متى استعاد المنزل وضعه الطبيعي.

قال راوول:

«ستذهب غدا. الطقس رائع و ليدا في تحسن مستمر. انها تريد ان تحدثك يا ستاسي.»

«سأراها بعد الظهر.»

كانت الغرفة مشرقة ومزينة بالزهور المختلفة التي ارسلها الدكتور سيكيليانوس وماريا وهرميون. وكانت ليدا ممددة على السرير. وعندما دخلت اشارت بيدها وقالت:

«اردت ان اراك قبل ذلك يا ستاسي. لكن راوول لم يسمح لي بذلك قبل اليوم.»

«وانا ايضا كنت اود رؤيتك لكن راوول قال لي ان الزيارات ممنوعة في الوقت الحاضر.»

«لم يكن يريد أن يراني مضطربة. كان يعرف ان رؤية فازيلي ستزعجني»

نظرت الي في عمق وقالت:

«اني راحلة يا ستاسي، وربما لن اعود الى هنا بعد الآن. اردت ان احدثك قبل رحيلي. لن اتزوج من بول.»

«ماذا؟ لكنك تحبينه، وتحلمين دائما بهذا الزواج.»

«مازلت احبه لكن هذا لايكفي. قال لي فازيلي...»

امسكت بيدها النحيلة وقلت:

«لاتتكلمي يا ليدا. ستشعرين بالألم.»

«اريد ان تعرف لماذا اريد الرحيل. لقد اراد فازيلي قتلي. عندما اتيت لأرى بول كنت خائفة، فأبلغني فازيلي بوجودكما في الكوخ. ولم اشاهد نيكوس معكما. اعتقدت انكما ذهبتما سراً من أجل أن تكونا وحيدين.. قلت لفازيلي انك وعدتني بالرحيل وترك بول. اجابني بالحرف الواحد. اية امرأة انت؟ لن اسمح لك بالزواج من بول. وافضل ان اقتلك.. انه انسان كريه. مد يده نحوي فالتفت وزلقت، ولم يحاول مساعدتي، بل ظل واقفاً ينظر الي.»

«ربما تخيلت ذلك.»

«لقد انتابتني الكوابيس وراوول يعرف ذلك. لم اكن قادرة على النوم حتى بعدما تناولت الحبوب المهدئة. كان يقول لي ان فازيلي لايستطيع ان يؤذيني لكني ما ازال اتذكر ملامحه وتعابير وجهه وطريقته في التطلع الي والى اي حد. كان يكرهني في تلك اللحظة.»

وراحت تبكي فقلت لها:

«لا يا ليدا لاتبكي. سيزداد مرضك ولن تكوني في حالة تسمح لك بالسفر غدا.»

«نعم، غدا انا ذاهبة مع راوول. لقد طلب ان يتزوجني وان نسكن في باريس. قال لي انني ساشفى بسرعة بعد اجراء العملية وان في امكاني الانجاب بعد اجراء العملية القيصرية، واذا لم يتحقق ذلك، فيمكننا ان نتبنى ولدا.»

«لكن ماذا لو كنت ما تزالين تحبين بول.»

«راوول يعرف تماماً حقيقة عواطفي. سبق له وطلب يدي برغم حبي لبول.

قال لي انني ساتغير عندما ارحل من هنا. انت الزوجة المناسبة لبول.»

«ارجوك يا ليدا كوني سعيدة.»

«ساحاول يا ستاسي والآن الى اللقاء. هل نحن صديقتان؟»

«نعم دائما وسنلتقي في احد الايام.»

شعرت باضطراب وانا اهبط السلالم المؤدية الى الطابق الاسفل لقد حررتنا ليدا انا وبول. انني اتمنى من كل قلبي ان تكون سعيدة مع راوول الذي يحبها حقا ثم تحولت افكاري الى فازيلي بدأت اخاف.

فجأة انفتح باب المكتب. كان فازيلي على العتبة ولم اتمكن من التهرب منه. قال:

«هل كنت تزورين ليدا؟ كيف حالها؟»

«احسن بكثير.»

«هل ستذهب غدا؟»

تساءلت عما اذا كان على علم انها لن تعود الى هنا بعد الآن وانها ستتزوج من راوول. وانا ايضا، اريد ان اغادر هذه الجزيرة. ارفض البقاء هنا. تحت سيطرته، حتى ولو كنت مع بول. سيديرنا ويتحكم بنيكوس.

«وانت؟ متى سترحلين؟»

كان ساخرا كأنه يقول: «الآن الامر يختلف عما كان عليه.»

ترددت ثم قلت:

«لست متأكدة بعد الاسبوع المقبل..»

«بعد رؤية بول. على ما اظن.»

«نعم.»

«سيعود غدا او بعد غد وسيساعدك على اتخاذ القرار الصحيح.»

لم ارد، فانسحبت عائدة من مكتبه.

في صباح اليوم التالي، صعدت ليدا والممرضة وراوول في يخت

فازيلي المتجه نحو اثينا. نيكوس وانا بقينا في الشرفة نلوح لهم، مودعين.

مر النهار بهدوء، بين السباحة وحمامات الشمس. بدت الفيللا فارغة. لم يتناول فازيلي طعام الغداء معنا. وبعد الظهر، ذهبنا الى الاسطبل وركب نيكوس على ظهر الحمار الرمادي. كنت امشي في قربه. اردت زيارة ماريا، لكني كنت اخاف ان اكون غائبة لدى وصول بول الذي لم يعد بعد.

في اليوم التالي، رحت اتفقد الطائرة. ومرات عديدة كان يخيل الي اني اسمع محرك سيارة او شاحنة.

في المساء، بعدما وضعت نيكوس في السرير خرجت الى الحديقة. الدمار تم اصلاحه، والنباتات المكسرة حلت مكانها نباتات اخرى. لكن جمالها مختلف. تأملت البحر الذي كان بلون الذهب وبت حزينة، كئيبة، متألمة.

كيف في امكاني مغادرة كل هذا الجمال؟

لكني كنت اعرف ان هذا الهدوء والسلام والسكينة سراب. وراءها الحاكم فازيلي. لن اسلم نيكوس لطغيانه. ورحت اتساءل متى سيعود بول.

فجأة سمعت صوته:

«كنت متأكداً من اني سأراك هنا.»

اخذني بين ذراعيه وقال:

«آه، يا سامي. ابتعدت عنك كثيراً.»

عانقني بحنان وشغف، واستسلمت له. ثم قال لي في صوت مرتبك:

«ذهبت ليدا. وضعتها في الطائرة صباح اليوم.»

«هل اخبرتك عن راوول؟»

«نعم. الامور سارت على مايرام. اعتقد انهما سعيدان. سيهتم بها راوول. لكن كيف في امكانها ان تتغير بهذه السرعة المفاجئة؟ هل حصل هذا بسبب الحادث؟»

لم اقل له: والدك اراد ان يقتلها.

ثم قال:

«اخيراً، المستقبل امامنا، ياحبي. هل تقبلين بالزواج مني؟»

ترددت. كيف اقول له اني خائفة ان اعيش هنا، في ميلاينوس سألني:

«الم تغيري رأيك؟»

ضغطت على كتفيه وقلت:

«كلا. كنت اتساءل فقط اين سنعيش بعد الزواج، هنا، في ميلاينوس؟»

«فكرت في الامر، ياحبيبتي. لا اعتقد انها فكرة صائبة ان نعيش هنا. اقترح الذهاب الى الولايات المتحدة الاميركية حيث ستتعرفين الى امي والى زوجها. ويمكننا الزواج هناك وقضاء سنة كاملة في كاليفورنيا. سيكون الطقس رائعاً وانا استعيد مكاني في الشركة، في سان فرانسيسكو.»

شعرت بارتياح، واطلقت زفرة. فسألني بول:

«هل تعجبك الفكرة؟»

«هذا ما كنت اتمناه. لكن... والدك؟ سيحزن اذا تركناه. هل وظيفتك في الشركة ما زالت قائمة؟»

«اعتقد اني مسؤول كبير هناك. على والدي ان يتحمل وحدته، ليعرف مدى سلطته القوية. سنبتعد عنه كما ابتعد الكسيس في الماضي. ليدا لن تعود ابداً. ونحن سنرحل.»

حل الظلام وانطفأت الانوار. فجأة شعرت بالشفقة تجاه فازيلي فقلت في صوت خافت:

«سيجد والدك نفسه وحيداً.»

«ان كل الطغاة وحيدون لاتقلقي.»

ثم شدني في حنان الى ذراعيه وقال:

«سنأتي لزيارته من وقت الى آخر، وسيرى حفيده، بل احفاده... سنعود مراراً الى هذه الجزيرة، والى هذه الحديقة.»

«حديقة برسفوني.»

حيث وجدت الربيع لأعرف السعادة الكبرى. ولأدرك ان حبي لألكيس
باق ولن يتأثر بالعواطف التي اكنها لبول.